هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني
1821-1524

أ.م.د الهام حمزة منسي الطفيلي

كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل

Dr. ILham Hamzah Mansi AL-Tufaili

College of Education for Human Sciences

University of Babylon

ahmztmnsy@gmil.com

هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني 1524-1821

أ.م.د الهام حمزة منسي الطفيلي

الملخص

مثلت الرحلات الإسبانية إلى العالم الجديد في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر منعطفا حاسما في تاريخ أمريكا الوسطى، إذ كان لاكتشاف السواحل الهندوراسية دور بارز في ترسيخ النفوذ الإسباني داخل المنطقة، وجاءت هذه الرحلات في سياق التنافس الأوروبي المحموم لاكتشاف أراض جديدة واستغلال مواردها، إلى جانب سعي التاج الإسباني إلى توسيع نطاق إمبراطوريته خارج القارة الأوروبية، وأسهمت الحملات الاستكشافية المتعاقبة في تمهيد الطريق أمام الغزو العسكري، لتتحول لاحقاً إلى مشروع استعماري منظم استهدف إخضاع السكان الأصليين والسيطرة على الموارد الاقتصادية، وهو ما استمر حتى نيل هندوراس استقلالها عام 1821، وخلف الاستعمار الإسباني آثار عميقة في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الهندوراسي، وتنبع أهمية دراسة هذه المرحلة من كونها تمثل حقبة مفصلية في التاريخ السياسي لهندوراس أسهمت في بلورة أنماط الحكم وتحديد حدود السلطة وآليات ممارستها.

الكلمات المفتاحية: هندوراس، الاستعمار الاسباني ، الرحلات الاستكشافية، كولمبس، نظام الإنكوميندا

Abstract:

The Spanish voyages to the New World in the late fifteenth and early sixteenth centuries represented a crucial turning point in the history of Central America. The discovery of the Honduran coast played a prominent role in consolidating Spanish influence within the region. These voyages came in the context of the frantic European competition to discover new lands and exploit their resources, in addition to the Spanish crown's endeavor to expand the scope of its empire outside the European continent. The successive exploratory campaigns contributed to paving the way for military conquest, which later turned into an organized colonial project aimed at subjugating the

indigenous population and controlling economic resources. This continued until Honduras gained its independence in 1821. Spanish colonialism left deep effects on the social, economic, and political structure of Honduran society. The importance of studying this period stems from the fact that it represents a pivotal era in the political history of Honduras, which contributed to shaping the patterns of governance and defining the limits of power and the mechanisms for its exercise.

Keywords: Honduras, Spanish colonization, voyages of exploration, Columbus, Encomenda system.

المقدمة :

حظيت هندوراس بمكانة بارزة في الرؤية الاستعمارية الإسبانية، ويعزى ذلك أساسا لموقعها الجغرافي في قلب أمريكا الوسطى، أذ تميزت بإشرافها على كل من البحر الكاريبي والمحيط الهادئ، وهو ما أكسبها أهمية استراتيجية بوصفها نقطة اتصال بين المستعمرات الإسبانية في المكسيك من جهة، وبقية أقاليم أمريكا الوسطى والجنوبية من جهة أخرى، وأسهمت سواحلها ولا سيما المطلة على البحر الكاريبي في تنشيط حركة الملاحة البحرية وتسهيل الأنشطة التجارية ونقل الموارد إلى الموانئ الخاضعة للتاج الإسباني، وإلى جانب ذلك وفرت هندوراس نطاقاً جغرافياً وعسكرياً ذا أهمية خاصة مكن إسبانيا من تعزيز نفوذها الإقليمي وتأمين ممتلكاتها الاستعمارية في مواجهة القوى الأوروبية المنافسة، وبناءً على ذلك شكل الموقع الجغرافي لهندوراس عاملاً حاسماً في إدماجها ضمن المنظومة الاستعمارية الإسبانية، ومنحها دوراً مؤثراً في التوازنات السياسية والاقتصادية للإدارة الاستعمارية.

مثّل التوسع الإسباني في أقاليم أمريكا الوسطى مرحلة تاريخية مفصلية، ترتب عليها إعادة تشكيل الأوضاع السياسية والإدارية في المجتمعات التي خضعت للسيطرة الإسبانية، وكانت هندوراس من بين الأقاليم التي أُدمجت مبكراً ضمن نطاق النفوذ الإسباني منذ القرن السادس عشر، وهو ما أسفر عن قيام نظام حكم استعماري جديد حل محل البنى السياسية المحلية السابقة، واستند هذا النظام إلى آليات إدارة وسيطرة ارتبطت ارتباطًا مباشراً بالتاج الإسباني، الأمر الذي أفضى إلى تحولات جوهرية في بنية السلطة وأنماط ممارستها، فضلاً عن إعادة صياغة العلاقات السياسية السائدة آنذاك.

سعت السلطة الاستعمارية في هندوراس إلى تكريس نموذج حكم ذي طابع مركزي، من خلال إنشاء مؤسسات سياسية وإدارية مستحدثة، وتنظيم شؤون الإدارة المحلية، وربط الإقليم بالمنظومة السياسية العامة للإمبراطورية الإسبانية في العالم الجديد، وفي هذا السياق اضطلع الحكام والولاة إلى جانب مختلف الأجهزة الاستعمارية بدور محوري في إدارة الإقليم، بما يعكس توجهات السياسة الاستعمارية الإسبانية الهادفة إلى إحكام السيطرة وضمان الاستقرار وحماية المصالح الإسبانية.

يهدف البحث الموسوم (هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني 1524-1821) إلى تحليل طبيعة النظام السياسي الاستعماري الإسباني في هندوراس، وبيان أساليب الحكم والسيطرة التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية، فضلا عن تتبع انعكاسات تلك السياسات على الواقع السياسي المحلي، ويكتسب البحث أهميته من قلة الدراسات العربية التي تناولت هندوراس خلال العهد الاستعماري الإسباني مقارنةً بدول أخرى في أمريكا اللاتينية، كما يسعى للإجابة عن مجموعة من التساؤلات من أبرزها كيف أدارت إسبانيا شؤون الحكم في هندوراس؟ وما أبرز ملامح السياسة الاستعمارية الإسبانية؟ وما أثر هذه السياسة في تشكيل البنية السياسية والادارية والاجتماعية لهندوراس حتى نهاية العهد الاستعماري؟

حدد الاطار الزمني للبحث بدءً من عام 1524 كونه العام الذي شهد بداية الغزو المنظم وتأسيس الوجود الاستعماري الاسباني في هندوراس ، في حين مثل عام 1821 انتهاء مدة البحث وهو العام الذي حصلت فيه هندوراس على استقلالها من الاستعمار الاسباني .

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول التمهيد المعنون (لمحة تاريخية عن هندوراس قبل الاستعمار الإسباني) دراسة الموقع الجغرافي لهندوراس وخصائصها البيئية، مع بيان أوضاع السكان الأصليين، وطبيعة التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع الهندوراسي قبيل وصول الإسبان، أما المبحث الاول فجاء بعنوان (الرحلات الإسبانية لاكتشاف هندوراس وبداية الاستعمار) وعالج فيه البحث الحملات الاستكشافية الإسبانية ومراحل الغزو، بدءا برحلة كريستوفر كولومبوس إلى سواحل هندوراس سنة 1502، مرورا بالرحلات اللاحقة بين سنتي 1508 و1524، وانتهاءً

بمرحلة التحول من الاكتشاف إلى الغزو المنظم وبداية الاستعمار خلال المدة 1524-1537،في حين خصص المبحث الثاني لدراسة (تثبيت السيطرة الإسبانية على هندوراس وبداية الحكم الاستعماري)، إذ تناول الأبعاد السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية للوجود الإسباني، واستعرض أبرز المؤسسات الإدارية الاستعمارية، وفي مقدمتها الحاكم الإسباني، والمجالس البلدية (الكابيلدو)، والمحاكم الاستعمارية، فضلا عن النظام المالي والضريبي، وأثر التنظيم الإداري في بنية المجتمع الهندوراسي، إلى جانب مقاومة السكان الأصليين ومحورية الدور الذي اضطلعت به الكنيسة في إطار التنظيم الديني الاستعماري، أما المبحث الثالث فقد حمل عنوان (هندوراس في ظل سيطرة آل بوربون ونهاية الحكم الإسباني)، وتناول انتقال السلطة إلى أسرة آل بوربون وانعكاس إصلاحاتهم على المستعمرات، مع تحليل التنظيم الإداري في العهد البوربوني، والأوضاع الاقتصادية في ظل تلك الإصلاحات، وصولا إلى إعلان الاستقلال وانتهاء الحكم الإسباني، وجاءت الخاتمة لتعرض أبرز النتائج والاستنتاجات التي توصل إليها البحث .

التمهيد: لمحة تاريخية عن هندوراس قبل الاستعمار الإسباني

اولا: موقع هندوراس وبيئتها الجغرافية

تحتل هندوراس موقع جغرافي مميز في وسط أمريكا الوسطى، وهو ما منحها أهمية واضحة قبل خضوعها للنفوذ الإسباني، فقد شكّلت أراضيها ممراً طبيعياً يربط بين الأقاليم الشمالية والجنوبية من المنطقة، الأمر الذي ساعد على تعزيز التواصل بين الجماعات الأصلية وأسهم في تنشيط التبادل التجاري والثقافي مع الشعوب المجاورة، ويحد البلاد شمالا البحر الكاريبي، وغربا غواتيمالا، والجنوب الغربي السلفادور، والجنوب الشرقي نيكاراغوا، ومن الجنوب المحيط الهادئ ، كما تمتد سواحلها الشمالية لمسافات طويلة على البحر الكاريبي، مما أتاح لها انفتاحا بحريا واسعا وسهل الاتصال بالجزر المجاورة، وهو ما جعل هندوراس نقطة تواصل مهمة داخل أمريكا الوسطى وأسهم في تطور الحضارات والثقافات المحلية قبل وصول الأوروبيين.[1]

تميزت هندوراس بتنوع جغرافي واضح إذ جمعت بين السهول الساحلية الغنية بالموارد الطبيعية، والمرتفعات الجبلية في الوسط، إلى جانب الأودية الداخلية، وانعكس هذا التنوع

على أنماط الاستقرار البشري، ففضل السكان الأصليون المناطق المرتفعة لما توفره من مناخ معتدل وقدرة أكبر على التحصين، في حين استثمرت السهول الساحلية في الزراعة والصيد والتبادل التجاري، كما لعبت الأنهار دورا حيويا في ربط المناطق الداخلية بالسواحل، وأسهمت في توفير المياه اللازمة للزراعة وتيسير حركة النقل المحلي.[2]

اتسمت هندوراس بتنوع مناخي ايضا إذ ساد المناخ المداري المناطق الساحلية وتميز بارتفاع معدلات الأمطار، في حين عرفت المناطق الجبلية مناخًا أكثر اعتدالا ما جعلها ملائمة للاستقرار البشري وممارسة الأنشطة الزراعية، وأسهم هذا التنوع المناخي في تعدد المحاصيل الزراعية وانتشارها، الأمر الذي انعكس على أنماط الاستيطان، أذ تركزت التجمعات السكانية في المرتفعات الخصبة والسهول الساحلية،[3] واعتمد السكان الأصليون في نشاطهم الاقتصادي على الزراعة والصيد، وكان من أبرز محاصيلهم الذرة والفاصوليا والكاكاو، كما وفرت الأنهار القصيرة مثل أولوا وأغوان مصادر مهمة للمياه العذبة أسهمت في دعم الزراعة ، فضلا عن ذلك تمتعت البلاد بغطاء واسع من الغابات الاستوائية التي زوّدت السكان بالأخشاب والموارد الغذائية المختلفة.[4]

ونتيجة لهذا الموقع الجغرافي والمناخ المتنوع اندمجت هندوراس ضمن المجال الحضاري لأمريكا الوسطى، وشهدت تطورا ملحوظا على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بما يبرز الأثر العميق للجغرافيا في تشكيل أنماط الحياة والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي للسكان الأصليين قبل خضوع البلاد للسيطرة الاستعمارية الإسبانية.[5]

ثانيا: السكان الأصليون

سكنت أراضي هندوراس قبل وصول الإسبان عدة شعوب شكلت ثقافات وحضارات متقدمة ابرزها:[6]

1- المايا: سكنت في غرب هندوراس خاصةً في منطقة كوبان (Copán) نشأت حضارة المايا التي تعد من أكثر الحضارات تقّماً في أمريكا قبل كولومبوس، امتازت هذه الحضارة بتطورها في الفلك والرياضيات ونظم كتابة هيروغليفية خاصة بها، عُرفت هذه الحضارة ببنيتها المعمارية المتقدمة وأنظمتها السياسية المتطورة، كانت مدينة كوبان من أبرز مدن المايا في الهندوراس، أذ امتازت بآثارها التي تشمل المعابد والأهرامات

والمسلات الحجرية والمنحوتات التي اظهرت مستوى عال من التنظيم الاجتماعي والسياسي في تلك المدة.

2- اللينكا (Lenca): أكبر مجموعة سكانية في شمال وجنوب هندوراس قبل الاستعمار، لهم تنظيم اجتماعي واضح يعيشون في مستوطنات متطورة نسبياً ويمارسون الزراعة والحرف اليدوية، تأتي أهمية هؤلاء من كونهم الأكثر انتشارا وتنظيما عندما وصل الإسبان إلى المنطقة.

3- البيتش (Pech): عاشوا في المناطق الشمالية الشرقية وتفاعلوا مع المايا ومع ثقافات اخرى.

4- هناك مجموعات أصغر مثل التولوبان Tolupan، والتايراونا Tawahka والميسكيتو Misquito، كل منها تمثّل مجتمعاً ثقافياً مستقلاً مع عادات ولغات وممارسات اجتماعية متنوعة، سكنوا في المناطق الجبلية والغابية.

ثالثا: النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي قبل الاستعمار

لم تشهد هندوراس قبل وصول الإسبان قيام دولة مركزية موحدة، بل اتسم وضعها السياسي بالتعدد أذ تألفت من مدن وكيانات مستقلة، ولا سيما في مناطق نفوذ حضارة المايا، كانت تُدار من زعماء محليين أو ملوك، إلى جانب مجتمعات قبلية اعتمدت في تنظيمها على سلطة الزعيم والأعراف التقليدية، وتفاوتت طبيعة العلاقات بين هذه الكيانات بين التعاون والتحالف في بعض الأحيان، والتنافس والصراع في أحيان أخرى.[7]

وعلى الصعيد الاجتماعي تميز المجتمع قبل الاستعماري بوجود بناء طبقي واضح، خاصة لدى المايا، أذ انقسم إلى طبقة حاكمة، وكهنة، وعامة الناس واعتمد التنظيم الاجتماعي على الروابط العائلية والقبلية بوصفها أساسا للعلاقات داخل المجتمع،[8] في حين شغلت المرأة دور مهم في الأنشطة الزراعية والحرف المنزلية، واتخذ هذا التنظيم طابعا هرميا إذ تداخلت السلطة السياسية مع الدينية وتمتع القادة السياسيون والدينيون بنفوذ واسع داخل المجتمعات الكبرى.[9]

أما النشاط الاقتصادي فارتكز على الزراعة ولا سيما زراعة الذرة والفاصوليا والفواكه، إلى جانب الكاكاو والقطن، فضلا عن جمع الثمار في المناطق الغابية، وكانت هذه الأنشطة

تُمارس ضمن إطار جماعي أو تحت إشراف قادة المجتمع، كما أسهمت التجارة الداخلية وتبادل السلع بين المناطق الساحلية والداخلية في تعزيز الروابط بين الجماعات المختلفة، أذ جرى تبادل المنتجات الزراعية والأدوات وغيرها، [10] وهو ما يعكس وجود علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية معقدة تراوحت بين التبادل السلمي والتحالفات من جهة، والصراعات من جهة أخرى، ولا سيما في المناطق التي شكلت محورا للطرق التجارية بين مدن المايا وغيرها من المناطق المجاورة.[11]

وعلى الصعيد الديني احتل الدين مكانة مهمة في حياة المجتمعات المحلية في هندوراس وغيرها من مناطق أمريكا الوسطى قبل وصول الإسبان، واضطلع الكهنة بدور أساسي في الحياة الدينية والاجتماعية،[12] إذ جمعوا بين السحر والكهانة ، وكان يُنظر لهم بوصفهم وسطاء روحيين تربطهم علاقة مباشرة بالآلهة،[13] وتمثلت مهامهم في تفسير الظواهر الغيبية والإشراف على الطقوس الدينية، واعتنق السكان نظام ديني وثني تعددي ارتكز على عبادة قوى الطبيعة فعبدوا آلهة متعددة من أبرزها آلهة الشمس والمطر والزراعة والخصوبة، وانتشرت لدى المايا طقوس دينية معقدة تجسدت في بناء المعابد والأهرامات إلى جانب الاعتقاد بوجود ارتباط روحي وثيق بين الإنسان والكون.[14]

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن هندوراس قبل الاستعمار الإسباني لم تكن أرض متخلفة أو معزولة، بل موطنا لمجتمعات غنية بالتنوع الحضاري والثقافي، ضمت شعوب ذات نظم اجتماعية مختلفة، ومؤسسات حكم محلية وعلاقات اقتصادية واسعة، ومع نهاية القرن الخامس عشر بدأت بعض الحضارات مثل المايا في كوبان تشهد تراجع أو تحولات في أنماطها الحضارية نتيجة عوامل متعددة من بينها التغيرات البيئية والصراعات الداخلية، غير أن الغزو الإسباني في القرن السادس عشر شكل العامل الحاسم الذي أنهى استقلال هذه المجتمعات، وأدخلها في مرحلة جديدة من التحولات السياسية والاجتماعية.

المبحث الاول : الرحلات الإسبانية لاكتشاف هندوراس وبداية الاستعمار

اولا: الرحلات الاستكشافية ومراحل الغزو الاسباني لهندوراس

شهدت إسبانيا خلال العقود الأخيرة من القرن الخامس عشر جملة من التحولات السياسية والاقتصادية العميقة، كان في مقدمتها انتهاء (حروب الاسترداد Reconquest)

Wars [15] بسقوط مملكة غرناطة سنة 1492، وهو تطور تاريخي مكّن التاج الإسباني من تحويل اهتمامه من الصراعات الداخلية إلى الانفتاح على آفاق خارجية أوسع، ومثّلت الكشوف الجغرافية إحدى الأدوات الرئيسة التي اعتمدتها إسبانيا لتعزيز مكانتها الدولية ومنافسة القوى الأوروبية الصاعدة ولا سيما البرتغال.[16]

وفي إطار هذا التوجه انتهج التاج الإسباني سياسة داعمة للرحلات الاستكشافية، تمثلت في تقديم الدعم المالي ومنح الامتيازات القانونية للمستكشفين، وذلك في سياق تحقيق أهداف متعددة من أبرزها البحث عن الثروات الطبيعية، وتوسيع دائرة النفوذ السياسي إلى جانب نشر الديانة المسيحية، وجاءت مناطق أمريكا الوسطى ومنها هندوراس ضمن نطاق هذا المشروع التوسعي.[17]

عقب النجاح الذي حققته الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبوس عام 1492، كثّفت إسبانيا من إرسال بعثاتها الاستكشافية باتجاه جزر البحر الكاريبي وسواحل أمريكا الوسطى، وأسهم دعم التاج الاسباني لهذه الحملات في توجيهها نحو البحث عن المعادن النفيسة، وفتح مسارات تجارية جديدة، وترسيخ الوجود الإسباني سياسياً ودينياً، الأمر الذي جعل السواحل الشمالية لأمريكا الوسطى بما فيها هندوراس محط اهتمام متزايد منص البحّارة والمستكشفين الإسبان.[18]

- رحلة كريستوفر كولومبوس إلى سواحل هندوراس (1502)

شكلت الرحلة الرابعة لكريستوفر كولومبوس سنة 1502 أول احتكاك مباشر بين الإسبان وسواحل هندوراس، إذ وصل كولومبوس خلال هذه الحملة الساحل الشمالي للبلاد، ولا سيما منطقة جزيرة غواناخا Guanaja ، ثم واصل إبحاره باتجاه ساحل ترخيو (Trujillo)، وأُطلق اسم هندوراس على هذه المنطقة في إشارة إلى عمق مياه سواحلها وما تسببه من صعوبات ملاحية، إذ يدل المصطلح في اللغة الإسبانية على الأعماق.[19]

وعلى الرغم من أن هذه الرحلة لم تسفر عن إقامة مستوطنات إسبانية دائمة، فإنها أسهمت في توفير معلومات أولية عن الخصائص الجغرافية للسواحل وعن المجتمعات المحلية التي كانت تقطن المنطقة، كما لفتت هذه المعطيات أنظار الإسبان إلى ما تحتوي

هندوراس من إمكانات اقتصادية ، وأصبحت أساساً اعتمدت عليه البعثات اللاحقة الأمر الذي مهد لإدراج هندوراس ضمن نطاق الاهتمام الاستعماري الإسباني.[20]

- الرحلات الإسبانية بعد كولومبوس (1508-1524)

عقب رحلة كريستوفر كولومبوس تتابعت البعثات الإسبانية نحو سواحل هندوراس ضمن حركة أوسع من الاستكشاف والتوسع التي طالت مناطق متعددة من أمريكا الوسطى وهدفت هذه الحملات إلى الوقوف على الموارد الطبيعية، ولا سيما الذهب، فضلاً عن تأمين طرق الملاحة والتبادل التجاري في البحر الكاريبي، ومن بين أبرز هذه الرحلات تلك التي قادها (خوان دي غريخالفا Juan de Grijalva)[21] و ألونسو دي أفيلا(Alonso de Ávila)[22] والتي أسهمت في إعداد خرائط أكثر دقة لسواحل هندوراس، والتعرّف على مرافئها الطبيعية، إضافة إلى جمع معطيات عن السكان الأصليين وأنماط أنشطتهم الاقتصادية.[23]

ورغم الطابع الاستكشافي الذي اتسمت به هذه الرحلات في ظاهرها، فإنها حملت في مضمونها أهدافا استعمارية واضحة، تمثلت في تقييم القدرات الاقتصادية والعسكرية للمنطقة، تمهيداً لإخضاعها سياسيا، وبهذا انتقل الدور الإسباني تدريجيا من مرحلة الاكتشاف والاستطلاع إلى مرحلة التخطيط المنظم لبسط السيطرة.[24]

أما النتائج الرئيسة التي أفرزتها الرحلات الاستكشافية الإسبانية إلى هندوراس فتمثلت في جملة من الآثار، من أبرزها:[25]

1- إدخال هندوراس ضمن المجال الجغرافي للإمبراطورية الإسبانية.

2- تهيئة الأرضية للغزو العسكري وبداية الحكم الاستعماري.

3- جمع معلومات جغرافية وبشرية عن المنطقة استندت اليها الادارة الاستعمارية في تنظيم شؤون البلاد.

4- بداية الاحتكاك المباشر مع السكان الأصليين وما رافقه من صدامات وتغيرات عميقة في البنية الاجتماعية والسياسية.

يتضح مما ذكر اعلاه أن الرحلات الإسبانية لاكتشاف هندوراس لم تكن مجرد مغامرات بحرية، بل شكلت الأساس الذي بني عليه الاستعمار الإسباني ، أذ كانت جزءاً من مشروع

استعماري متكامل هدفه توسيع النفوذ الإسباني في العالم الجديد، فقد أسهمت هذه الرحلات في كشف المنطقة وتحديد أهميتها الاستراتيجية وتهيئة الأرضية السياسية والعسكرية لفرض السيطرة الإسبانية، وبذلك تمثّل هذه الرحلات الحلقة الأولى في سلسلة التحولات التاريخية التي قادت إلى إخضاع هندوراس للاستعمار الإسباني.

ثانيا- الانتقال من الاكتشاف إلى الغزو وبداية الاستعمار 1524- 1537

مَثّل عام 1524 نقطة تحول حاسمة في تاريخ هندوراس، إذ شهد الانتقال من مرحلة الرحلات الاستكشافية إلى مرحلة الحملات العسكرية المنظمة، ففي هذا العام شرعت إسبانيا في اتباع سياسة عسكرية مباشرة لإخضاع هندوراس، بعد أن تبيّن للتاج الإسباني ما تنطوي عليه المنطقة من أهمية استراتيجية ناتجة عن موقعها الجغرافي، وتولى قيادة هذه الحملات عدد من القادة العسكريين الإسبان، كان من أبرزهم (غيل غونثالث دي أفيلا Gael González de Ávila)[26] الذي يعد من أوائل من توغلوا في المناطق الداخلية لهندوراس، وسعى إلى إخضاعها باسم التاج الإسباني، وهو ما عكس بوضوح الانتقال من الاكتشاف إلى الغزو، كما شهدت هذه المرحلة تنافسا بين عدد من القادة الإسبان، من بينهم (فرنسيسكو دي مونتيجو Francisco de Montejo)،[27] على بسط النفوذ والسيطرة، وفي هذه المدة لم تعد الرحلات تقتصر على جمع المعلومات، بل تحولت إلى أداة مباشرة لفرض الهيمنة السياسية، الأمر الذي يشير إلى بداية الاستعمار الإسباني الفعلي في هندوراس.[28]

أدّى هرنان كورتيس(Hernán Cortés)[29] دوراً محورياً في تحويل الوجود الإسباني في هندوراس من مجرد محاولات عسكرية متفرقة إلى مشروع استعماري أكثر تنظيماً، ولا سيما بعد نجاحه في إخضاع إمبراطورية الأزتك في المكسيك، فقد سعى إلى توسيع نفوذه باتجاه الجنوب، وأرسل بعثات عسكرية إلى هندوراس بهدف ضمان ولائها للتاج الإسباني، ومنع القادة الإسبان المنافسين من الانفراد بالسيطرة عليها،[30] كما قاد بنفسه رحلة شاقة براً من المكسيك إلى هندوراس هدفت إلى فرض السيطرة السياسية، وتنظيم الإدارة الإسبانية، ووضع حد للصراعات الداخلية بين القادة الإسبان، وأسهمت هذه الحملة في ترسيخ الوجود الإسباني، وإرساء الأسس الأولى للإدارة الاستعمارية، وربط هندوراس بالنظام السياسي الإسباني في العالم الجديد.[31]

وفي إطار سعيه لتثبيت النفوذ الإسباني حاول هرنان كورتيس الاستعانة بمجموعات من الهنود القادمين من المكسيك لإقناع سكان هندوراس بجدوى الحكم الإسباني، ولا سيما في ظل الشكاوى المتزايدة من سوء معاملة بعض الغزاة السابقين، الذين مارسوا الاضطهاد وأجبروا السكان الأصليين على القيام بأعمال شاقة، غير أن هذه المحاولات لم تحقق النتائج المرجوة، مما دفع هرنان كورتيس إلى رفع تقرير في الأول من آب سنة 1523 عن الأسطول الذي أعدّه لغزو هندوراس، وتولّى قيادة هذه الحملة كريستوبال دي أوليد(Cristóbal de Olid)[32] أحد القادة العسكريين الذين خدموا تحت إمرة كورتيس في غزو إمبراطورية الأزتك، وتكونت القوة العسكرية من نحو (400) رجل موزعين على (5) سفن مجهزة بمختلف الأسلحة من بينها السيوف والنشاب والبنادق، في مؤشر واضح على الطابع العسكري لهذه الحملة.[33]

اعتمدت الحملات العسكرية الإسبانية في هندوراس على استخدام القوة المسلحة، مستفيدة من التفوق العسكري والتقني، ولا سيما امتلاك الأسلحة النارية، فضلا عن توظيف تحالفات مؤقتة مع بعض الجماعات المحلية، وأسفرت هذه الحملات عن إخضاع عدد من المناطق الساحلية والداخلية، رغم المقاومة العنيفة التي أبدتها الجماعات الأصلية دفاعاً عن أراضيها.[34]

سعى هرنان كورتيس على غرار غيل غونثالث دي أفيلا إلى البحث عن ممر بحري أو بري يربط بين البحر الكاريبي والمحيط الهادئ، غير أن الصراعات السياسية التي نشبت بينه وبين حاكم كوبا (دييغو فيلاسكيز Diego Velázquez)[35] ألقت بظلالها على مسار الأحداث، ففي هذا السياق اعلن كريستوبال دي أوليد ولائه لحاكم كوبا للانفصال عن سلطة هرنان كورتيس والسعي لغزو هندوراس لحسابه الخاص واقامة حكم مستقل فيها، وتشير المصادر إلى أن كريستوبال دي أوليد شرع فور وصوله إلى هافانا بتبادل المراسلات مع دييغو فيلاسكيز الذي أمدّه بدوره برجال لدعمه في التمرد.[36]

رد هرنان كورتيس على هذا التحدي بإرسال حملة عسكرية بقيادة (فرانسيسكو دي لاس كاساس Francisco de las Casas)(37) لإلقاء القبض على كريستوبال دي أوليد، وبعد سلسلة من المواجهات والاضطرابات داخل معسكره تمكن فرانسيسكو دي لاس كاساس

من اعتقال كريستوبال دي أوليد واعدم بالقرب من سواحل هندوراس وبذلك انتهت محاولته للانفصال عن سلطة هرنان كورتيس بالفشل.[38]

أدى مقتل كريستوبال دي أوليد سنة 1524 إلى جانب فرار غيل غونثالث دي أفيلا لانتقال زمام القيادة في المنطقة إلى فرانسيسكو دي لاس كاساس الذي وصل إلى هندوراس في أيار 1525 على متن سفينته (لا ترينيداد)،وعمل فرانسيسكو دي لاس كاساس على جمع إفادات وشهادات حول النزاعات التي اندلعت بين الغزاة الإسبان، والظروف التي أُعدم فيها كريستوبال دي أوليد، غير أن ممارساته ولا سيما استعباد السكان الأصليين الذين لم يبدوا عداءً للإسبان، عدت مخالفة جسيمة في نظر الملك، إذ اعتُبرت انتهاكا لبروتوكولات الغزو، وأسهمت في تقويض التحالفات مع المجتمعات المحلية.[39]

ومع تفاقم الصراعات بين القادة الإسبان قرر الملك كارلوس الأول (Carlos I)[40] في أواخر عام 1525 التدخل بشكل مباشر لوضع حد للنزاعات القائمة في هندوراس، وجاءت الأوامر الملكية بهدف إنهاء الاقتتال الداخلي الذي أدى إلى تدمير أجزاء واسعة من المنطقة ودفع أعدادا من السكان إلى الهجرة، وفي هذا الإطار عين الملك دييغو لوبيز دي سالسيدو(Diego López de Salcedo)[41] حاكما مستقلا لهندوراس في خطوة هدفت إلى تقليص نفوذ هرنان كورتيس وبيدرارياس دافيلا(Pedrarias Dávila)[42] ووضع حد لطموحاتهما المتنافسة.[43]

يتبين لنا مما تقدم أن الصراعات التي نشبت بين القادة الإسبان عكست طموحات شخصية متعارضة، أسهمت في إهدار أرواح الإسبان والسكان الأصليين على حد سواء، كما أدت هذه النزاعات إلى تقويض محاولات الغزو القائم على الأساليب الدبلوماسية، الأمر الذي فرض على الملك التدخل المباشر لفرض سلطته ووضع حدّ لحالة الاضطراب التي سادت المنطقة.

ابتداءً من عام 1530 أُسندت إدارة شؤون الحكم في هندوراس إلى السكان المحليين تحت الإشراف الإسباني، غير أن هذا الترتيب لم يلبث أن واجه تحديات كبيرة، إذ سرعان ما تفجرت اضطرابات وخلافات سياسية بين مختلف القوى والفصائل، وأمام حالة عدم الاستقرار هذه طالب سكان هندوراس بتدخل القائد الإسباني بيدرو دي ألفارادو(Pedro de

Alvarado)[44] الذي وصل إلى المنطقة عام 1536 بهدف وضع حدّ للفوضى السياسية، وتمكن بيدرو دي ألفارادو من هزيمة (سيكومبا Sicumba)[45] أحد أبرز زعماء المايا في وادي أوليا، كما أسس مدينتين أصبحتا من المراكز الحضرية المهمة، هما سان بيدرو دي بويرتو كابالوس (التي عرفت لاحقا باسم سان بيدرو سولا)، ومدينة غراسياس آديوس.[46]

وفي عام 1537 أصدر الملك الإسباني قرارا بتعيين فرانسيسكو دي مونتيجو حاكما عاما على هندوراس، وبمجرد وصوله إلى البلاد عمل على إلغاء نظام توزيع الأراضي الذي كان قد أقره ألفارادو، وشرع في إحكام السيطرة الإسبانية المباشرة على الإقليم في خطوة هدفت إلى تعزيز سلطة التاج الإسباني وتوحيد الإدارة الاستعمارية في هندوراس.[47]

المبحث الثاني: تثبيت السيطرة الإسبانية على هندوراس وبداية الحكم الاستعماري

شهدت هندوراس خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ترسخا واضحا للتنظيم السياسي الاستعماري، إذ مثلت هذه المدة مرحلة الانتقال من النشاط الاستكشافي إلى الإخضاع الفعلي، وما تبعه من قيام الإدارة الاستعمارية الإسبانية، ويعد هذا التحول من أخطر المنعطفات في تاريخ هندوراس، لما أفضى إليه من تغييرات سياسية وإدارية عميقة أسهمت في إنهاء الكيانات المحلية للسكان الأصليين، وإدماج الإقليم ضمن المنظومة الاستعمارية الإسبانية في أمريكا الوسطى.

اولا- الابعاد السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية للاستعمار الاسباني

بعد إخضاع المناطق الرئيسة في هندوراس عمل الإسبان على ترسيخ سيطرتهم من خلال إنشاء المستوطنات والمدن الاستعمارية مثل تروخيو وكومایاغوا التي تحولت إلى مراكز إدارية وسياسية ذات أهمية متزايدة، كما جرى تنظيم ملكية الأراضي وتوزيعها على المستعمرين الإسبان في إطار نظام (الإنكوميندا Encomienda)[48] الذي أتاح لهم السيطرة على السكان الأصليين واستغلال طاقتهم في مختلف مجالات العمل.[49]

خضعت هندوراس للنظام الإداري العام للإمبراطورية الإسبانية في العالم الجديد، إذ أُلحقت في مرحلتها الأولى بنيابة الملك في إسبانيا الجديدة (المكسيك)، ثم أُدرجت لاحقا ضمن نطاق القيادة العامة لغواتيمالا، ويعكس هذا الترتيب الإداري حرص التاج الإسباني على إحكام الرقابة المركزية على الأقاليم المستعمرة، والحيلولة دون نشوء قوى محلية مستقلة،

واستندت الإدارة الاستعمارية إلى مبدأ السلطة المركزية المرتبطة مباشرة بالتاج الإسباني، مع منح صلاحيات محدودة للمسؤولين المحليين بما يضمن تنفيذ السياسات الاستعمارية دون المساس بالسيادة العليا لإسبانيا.[50]

يعد هذا النظام الإداري إحدى الأدوات الأساسية لترسيخ الحكم الاستعماري، إذ أخضع السكان الأصليين لسلطة المستعمرين في إطار قانوني وديني، وانتهجت الإدارة الاستعمارية سياسة مزدوجة تجاه السكان الأصليين، جمعت بين استخدام القوة العسكرية لقمع التمردات، والسعي إلى إدماجهم في النظام الاستعماري من خلال التنصير وفرض القوانين والنظم الإسبانية.[51]

أسفر الاستعمار الإسباني عن تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والاقتصادية لهندوراس إذ أدى إلى تدمير عدد كبير من المجتمعات الأصلية، وظهور تركيبة اجتماعية جديدة قائمة على التمايز العرقي والاقتصادي. كما أسهم قدوم الأوروبيين في نشوء اقتصاد غير متوازن، تركزت فيه الثروة والسلطة في أيدي المستعمرين الإسبان والنخبة المحلية المرتبطة بالتاج الإسباني، وبحلول القرن السابع عشر، أصبحت هندوراس جزءا من اقتصاد إمبراطوري واسع تهيمن عليه إسبانيا، وتوجّه موارده لخدمة المصالح الاستعمارية.[52]

اعتمدت الإدارة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس على نظام العمل القسري بوصفه أداة رئيسة لاستغلال الموارد البشرية والاقتصادية، وبرز في هذا السياق نظام الإنكوميندا (الذي اشرنا له سلفا) مُنح المستعمرين الإسبان بموجبه حق إجبار السكان الأصليين على العمل في الزراعة والتعدين، ولا سيما في مناجم الذهب والفضة، كما طور الإسبان تربية الماشية والإنتاج الزراعي لتوفير الغذاء لسكان المستوطنات الاستعمارية، وغالبا ما كانت ظروف العمل قاسية ما أدى إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأصليين، مقابل التزام شكلي بحمايتهم وتعليمهم الديانة المسيحية، وأسهم ذلك في استنزاف القوى البشرية وتراجع أعداد السكان الأصليين نتيجة الإرهاق وسوء التغذية وانتشار الأمراض مثل الجدري، ومع تناقص أعدادهم لجأت إسبانيا إلى جلب العبيد الأفارقة للعمل في المزارع والمناجم، الأمر الذي أدى إلى تكون مجتمع متعدد الأعراق ضم السكان الأصليين و(المستيزو Mestizo)[53] و الأفارقة والأوروبيين.[54]

وإلى جانب نظام الإنكوميندا لجأت الإدارة الاستعمارية إلى أشكال أخرى من العمل القسري، من بينها نظام السخرة الذي فُرض على السكان الأصليين لتنفيذ المشروعات العامة، وبناء المدن والمنشآت الاستعمارية، الأمر الذي عزز الطابع الاستغلالي للسياسات التي انتهجتها إسبانيا في هندوراس،[55] و ركز الاستعمار الإسباني على إعادة توجيه الاقتصاد المحلي ليقوم أساسا على النشاط الزراعي الموجه للتصدير، إذ أُنشئت مزارع لزراعة محاصيل السكر والقطن والتبغ والكاكاو، التي خُصص إنتاجها بدرجة كبيرة للأسواق الأوروبية، وفي المقابل جرى تهميش وتفكيك النظم الزراعية التقليدية التي كان يعتمد عليها السكان الأصليون، ما أدى إلى إحداث تحول جذري في أنماط الإنتاج، وأسهم في تحويل المجتمع الهندوراسي إلى مجتمع قائم على الزراعة التجارية.[56]

ترتب على هذه التحولات الاقتصادية آثار اجتماعية وسياسية عميقة تمثلت في تفكك البنى التقليدية للسكان الأصليين، وإعادة تشكيل المجتمع في هندوراس وفق أسس استعمارية جديدة، كرست الهيمنة الإسبانية وأعادت ترتيب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بما يخدم المصالح الاستعمارية، ومما تجدر الاشارة اليه ان إخضاع هندوراس للإدارة الاستعمارية الإسبانية اسفر عن نتائج سياسية وإدارية هامة أبرزها:[57]

1- إنهاء الاستقلال السياسي للكيانات المحلية.

2- إدماج هندوراس ضمن النظام الإداري للإمبراطورية الإسبانية.

3- فرض أنماط حكم جديدة استمرت آثارها حتى مرحلة الاستقلال.

4- تعميق الفجوة الاجتماعية بين المستعمرين الإسبان والسكان الأصليين.

اما أهم نتائج السياسة الاستعمارية الإسبانية تجاه السكان الأصليين في هندوراس فأبرزها التراجع الحاد في أعداد السكان الأصليين نتيجة إخضاعهم لأنظمة العمل القسري، فضلا عن انتشار الأمراض الأوروبية التي لم تكن لديهم مناعة طبيعية ضدها مثل الجدري والحصبة، ادى ذلك إلى وقوع موجات واسعة من الوفيات أسهمت في إحداث اختلال ديمغرافي واضح داخل المجتمع الهندوراسي ،[58] كما أدت السيطرة الاستعمارية إلى تفكك البنى الاجتماعية والسياسية التقليدية للسكان الأصليين، إذ رافق وصول المستعمرين الإسبان تدفق أعداد متزايدة من الأوروبيين والكاثوليك إلى البلاد، ما أحدث تغييرا جوهريا في التركيبة

السكانية، ونتيجة لذلك تركز الوجود الأوروبي في المدن والمراكز الحضرية في حين ابعد السكان الأصليون إلى المناطق الريفية، الأمر الذي عمق الفوارق الاجتماعية وأعاد تشكيل العلاقات داخل المجتمع على أسس استعمارية.[59]

شملت السياسة الاستعمارية ايضا فرض ثقافة ولغة ودين جديدين على حساب الهوية الأصلية، إذ فرضت اللغة الإسبانية بوصفها لغة رسمية للإدارة والتواصل ما أدى إلى تراجع استخدام اللغات الأصلية، رغم تنوعها وانتشارها قبل الاستعمار ومنها لغات المايا، ورافق هذا التحول اللغوي تهميش متزايد للثقافات المحلية في المجالات الرسمية والتعليمية، فضلًا عن اندثار عدد من العادات والتقاليد التي كانت تمارسها الشعوب الأصلية.[60]

وخلال مدة الاستعمار تأثرت العمارة في هندوراس بالأسلوب الاستعماري الإسباني، أذ شيدت الكنائس والقصور وفق تصاميم أوروبية تقليدية، وبرز الطابع الاستعماري في التخطيط العمراني والهندسة المعمارية، وخلفت هذه المرحلة إرثًا ماديا تمثل في مبانٍ ومعالم تاريخية، مثل مبنى Caxa Real في كوماياغوا الذي استُخدم لخزن الضرائب لصالح المملكة الإسبانية، إضافة إلى القلاع الدفاعية مثل قلعة سان فرناندو في أوموا، وعلى الرغم من هذا التأثير حافظت الفنون التقليدية الهندوراسية على بعض سماتها الأصلية، ولا سيما في الحرف اليدوية كالنسيج والفخار مع ظهور تداخل واضح بين العناصر الثقافية المحلية والإسبانية.[61]

أما على صعيد العادات والتقاليد فقد فرض نمط الحياة الإسباني في جوانب متعددة من الحياة اليومية بما في ذلك الطقوس الاجتماعية والاحتفالات، فعلى سبيل المثال أصبح الزواج بين السكان الأصليين يتم وفق التعاليم المسيحية، واستبدلت العديد من الممارسات الاجتماعية التقليدية بطقوس ذات طابع إسباني، كما طرأت تغييرات ملحوظة على الملبس وأنماط الغذاء، إذ انتشرت الأزياء الأوروبية والأطعمة الإسبانية بين السكان.[62]

يتضح مما تقدم أن السياسة الاستعمارية الإسبانية تجاه السكان الأصليين في هندوراس قامت على مزيج من القمع السياسي، والاستغلال الاقتصادي، والهيمنة الدينية، إلى جانب إحداث تغييرات عميقة في نمط الحياة، ومع ذلك لم تتمكن هذه السياسات من القضاء بشكل

كامل على إرادة المقاومة لدى السكان الأصليين، الذين واصلوا الدفاع عن وجودهم وهويتهم الثقافية بوسائل متعددة عبر مختلف مراحل الحكم الاستعماري.

ثانيا : المؤسسات الإدارية الاستعمارية في هندوراس

تكونت الإدارة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس من عدة مؤسسات تولت تنظيم شؤون الحكم والإدارة والقضاء وجباية الضرائب في مقدمتها الحاكم الإسباني، والمجالس البلدية (الكابيلدو)، والمحاكم الاستعمارية أسهمت هذه المؤسسات في ترسيخ النظام الاستعماري الإسباني، وإحلاله تدريجيا محل التنظيمات السياسية والإدارية المحلية التي كانت قائمة قبل الغزو، وسنوضحها فيما يأتي:

أ:- الحاكم الإسباني

تأسس منصب الحاكم الإسباني في هندوراس عام 1524، ومثّل أعلى سلطة تنفيذية في الإقليم خلال الحقبة الاستعمارية، وكان الحاكم يعين مباشرة من ملك إسبانيا أو من السلطات العليا في غواتيمالا، ليكون ممثلا للتاج الإسباني والمسؤول عن تنفيذ سياساته وتوجيهاته، وتولى الحاكم تنفيذ القوانين والأوامر الملكية، والحفاظ على الأمن الداخلي من خلال إصدار التعليمات والتنظيمات اللازمة لضبط النظام، اضطلع ايضا بمهمة الإشراف على جباية الضرائب وتنظيم الموارد المالية، فضلا عن قيادة القوات العسكرية المحلية بهدف صد التهديدات الخارجية، وقمع التمردات الداخلية، وشملت صلاحياته تنظيم العمل الإداري في البلديات والمقاطعات، والإشراف على الموارد الاقتصادية، سواء في مجالات التعدين أو الزراعة أو التجارة، ولم يقتصر دوره على الجوانب الإدارية والعسكرية، بل امتد إلى فرض الثقافة الإسبانية والديانة الكاثوليكية بوصفهما جزءا من السياسة الاستعمارية الشاملة.[63]

عمل الحاكم على تعيين موظفين محليين لإدارة الأقاليم الصغيرة وتنظيم المدن والمراكز الاستيطانية مثل سان بيدرو سولا وغراسياس آديوس التي أسسها الإسبان بوصفها قواعد إدارية وتجارية، ولم تكن سلطته مقتصرة على المستوطنين الأوروبيين، بل شملت السكان الأصليين أيضا، أذ أُخضعوا لنظام الإنكوميندا الذي منح المستعمرين الإسبان حق السيطرة على الأراضي والسكان الأصليين مقابل التزامات شكلية بالحماية والتنصير وهو نظام استغلالي أشرف عليه الحاكم بشكل مباشر.[64]

يتضح مما تقدم أن الحاكم الإسباني يعد أهم مؤسسة إدارية في هندوراس خلال الحقبة الاستعمارية، إذ عكس منصبه الطبيعة السلطوية للنظام الاستعماري من خلال جمعه بين السلطات التنفيذية والسياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية، كان الحاكم أداة رئيسة لترسيخ السيطرة الإسبانية، وجزء من منظومة استعمارية أوسع مثّلت إرادة التاج الإسباني في مستعمرات أمريكا الوسطى، وأسهمت في تشكيل البنية السياسية والاقتصادية للمجتمع الهندوراسي.

ب: المجالس البلدية (الكابيلدو)

أنشأ الإسبان عام 1524 المجالس البلدية المعروفة باسم الكابيلدو في المدن الاستعمارية الرئيسة، مثل كومایاغوا وتروخيو، وضمت هذه المجالس ممثلين عن المستوطنين الإسبان حصريا، إذ لم يُسمح للسكان الأصليين بالمشاركة الفعلية في صنع القرار وتولت الكابيلدو إدارة الشؤون المحلية، بما في ذلك تنظيم شؤون المدن والبلدات وتنفيذ قرارات التاج الإسباني والحاكم العام أو المحلي، كما اهتمت هذه المجالس بتنظيم الحياة اليومية للسكان، والإشراف على الأسواق والأنشطة التجارية، وتحديد الأسعار، وجمع الضرائب والرسوم البلدية، وشملت صلاحياتها الإشراف على الأراضي البلدية وتوزيعها، وإدارة الأشغال العامة مثل الطرق والجسور والمباني الرسمية،[65] فضلا عن متابعة شؤون الصحة العامة والنظافة، وتنظيم توزيع المياه والموارد الغذائية، تولت الكابيلدو أيضا الفصل في القضايا البسيطة والنزاعات المحلية سواء المدنية أو الجنائية، إلى جانب مراقبة النظام الاجتماعي وضبط سلوك السكان وفق القوانين الاستعمارية، كما لعبت دورا في تنظيم العمل القسري المفروض على السكان الأصليين، وعلى الرغم من أن هذه المجالس مثلت شكلا من أشكال الإدارة المحلية، فإنها ظلت خاضعة لرقابة السلطة الاستعمارية العليا، ولم تخرج عن إطار المصالح الاستعمارية الإسبانية.[66]

من خلال ما تقدم يتضح أن الكابيلدو كانت أداة أساسية بيد الاستعمار الإسباني لإحكام السيطرة الإدارية والسياسية والاقتصادية على هندوراس، أسهمت في تنظيم المدن بما يخدم مصالح التاج الإسباني والمستوطنين، مع تهميش السكان الأصليين وإقصائهم عن إدارة شؤون بلادهم.

ت: المحاكم الاستعمارية

شكلت المحاكم الاستعمارية التي أُنشئت في هندوراس منذ النصف الأول من القرن السادس عشر وتحديدا ابتداء من عام 1526 ركيزة أساسية لترسيخ النظام القانوني الاستعماري، خضعت هندوراس في ظلها للمحاكم العليا في غواتيمالا التي تولت الفصل في القضايا الكبرى، في حين نُظرت القضايا المحلية أمام محاكم أدنى مستوى، هدفت هذه المحاكم إلى فرض سلطة التاج الإسباني وتطبيق القوانين الملكية، وتنظيم العلاقات بين مختلف فئات السكان، وضبط المجتمع المحلي وفق الأسس القانونية الإسبانية، كما أسهمت في توحيد النظام القانوني في الأراضي الخاضعة للاستعمار، وضمان تنفيذ الأوامر والأنظمة الصادرة عن التاج الإسباني بما يخدم استقرار الحكم الاستعماري ويعزز هيمنته السياسية والإدارية.[67]

اضطلعت المحاكم الاستعمارية في هندوراس بدور محوري في ترسيخ النظام الاستعماري، إذ تولت النظر في القضايا المدنية المتعلقة بالنزاعات على الأراضي والملكية والعقود، فضلا عن الفصل في القضايا الجنائية كالجريمة والتمرد والمخالفات الاخرى، كما نظرت في القضايا المرتبطة بالضرائب وأشكال العمل الإلزامي، وحاكمت السكان الأصليين وفق نظام قانوني يجمع بين التشريع الإسباني وبعض الأعراف المحلية، مع فرض العقوبات التي تضمن الامتثال للسلطة الاستعمارية، وساند الجهاز القضائي أنظمة العمل القسري، مثل الإنكوميندا و(الريبارتيمينتو Repartimiento)،[68] من خلال إضفاء الشرعية القانونية عليها، كما أسهم في دعم السلطة الإدارية عبر مساندة الحاكم الاستعماري في فرض النظام والأمن، وملاحقة المعارضين للسياسات الاستعمارية، والحد من النزاعات بين المستوطنين الإسبان أنفسهم، أدى ذلك إلى إضعاف الأعراف القانونية المحلية وتقويض استقلال القضاء التقليدي للسكان الأصليين، أما من حيث البنية القضائية فقد تمثلت أهم المحاكم بمحاكم البلديات والكابيلدو إلى جانب المحاكم الإقليمية المختصة بالقضايا الكبرى، في حين شكلت محكمة الأودينثيا الملكية (Real Audiencia)[69] المرجع القضائي الأعلى، وكانت هندوراس غالبا خاضعة لأودينثيا غواتيمالا.[70]

وعلى الصعيد الاقتصادي اهتمت المحاكم بشكل أساسي بحماية مصالح التاج الإسباني والمستوطنين، ولا سيما في مجالات التعدين والزراعة والتجارة، والفصل في النزاعات المتعلقة بالضرائب وحقوق الاستغلال، وتنظيم ملكية الأراضي ومنح الامتيازات، واتسم النظام القضائي بتمييز قانوني واضح بين الإسبان والسكان الأصليين، إذ كانت فرص هؤلاء في الدفاع القانوني محدودة، مما جعل القضاء أداة للهيمنة أكثر منه وسيلة لتحقيق العدالة.[71]

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن المحاكم الاستعمارية في هندوراس لم تكن مؤسسات قضائية محايدة، بل شكّلت أداة سياسية وقانونية لضمان استمرارية السيطرة الإسبانية، وحماية المصالح الاقتصادية للتاج والمستوطنين، وإخضاع السكان الأصليين للنظام الاستعماري، في إطار حكم مركزي سلطوي قائم على الطاعة وتنفيذ أوامر التاج الإسباني، دون منح السكان الأصليين أي دور فعلي في إدارة شؤون الحكم.

ثالثا: النظام المالي والضريبي في العهد الاستعماري

شكل النظام المالي والضريبي أحد الركائز الأساسية للإدارة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس وأداة رئيسة للسيطرة الاقتصادية، إذ جرى تصميمه لخدمة خزينة التاج الإسباني وتمويل الجهاز الإداري والعسكري، مع تحميل السكان الأصليين العبء الأكبر من الالتزامات المالية، وتمثلت أهداف هذا النظام في تأمين موارد مالية ثابتة للتاج، وتمويل المؤسسات الاستعمارية، واستغلال الثروات الطبيعية، ولا سيما المعادن والزراعة، فضلا عن إخضاع السكان الأصليين اقتصاديا وربطهم بالبنية الاقتصادية الاستعمارية، ولهذا الغرض فرضت السلطات الإسبانية مجموعة متنوعة من الضرائب على السكان الأصليين والمستوطنين، بهدف تعزيز موارد التاج وضمان استمرارية الإدارة الاستعمارية وكان لهذه السياسات أثر بالغ في تعميق التفاوت الاقتصادي وترسيخ التبعية الاقتصادية داخل المجتمع الهندوراسي، اما اهم الضرائب فهي:[72]

- الخُمس الملكي مقدارها 20% من المعادن المستخرجة، خاصة الذهب والفضة ، كانت من أهم موارد الخزينة الملكية في المراحل الأولى للاستعمار.

- ضريبة الجزية فُرضت على السكان الأصليين تُدفع نقدًا أو عينًا على شكل محاصيل أو منتجات زراعية او عمل قسري ، استُخدمت كوسيلة لإجبار السكان الأصليين على الاندماج في الاقتصاد النقدي.
- العُشر الكنسي الذي فُرض لدعم الكنيسة الكاثوليكية خاضعة لإشراف التاج الإسباني ، وكان يُجمع بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية ومقدارها 10% من الإنتاج الزراعي والحيواني.
- ضرائب التجارة والرسوم الجمركية وهي رسوم على السلع المستوردة والمصدّرة، فرضت قيودا على التجارة وربطت هندوراس بالموانئ الإسبانية.
- ضريبة المبيعات تُفرض على بيع وشراء السلع ، أثرت سلبًا في النشاط التجاري المحلي.
- ضرائب التعدين والزراعة لا سيما على إنتاج الذهب والفضة والمنتجات الزراعية.

أما مؤسسات التحصيل والإدارة المالية في العهد الاستعماري الإسباني بهندوراس فتمثلت أساسا في الخزينة الملكية التي تولت إدارة الموارد المالية وجمع الضرائب وتحويلها إلى خزينة التاج الإسباني، إلى جانب المسؤولين الماليين الذين أشرفوا على عمليات الجباية والتدقيق والمراقبة، كما شاركت المجالس البلدية (الكابيلدو) في تحصيل بعض الرسوم المحلية ضمن إطار يخضع للسلطة الاستعمارية المركزية.[73]

استُخدم النظام الضريبي وسيلة للضغط على السكان الأصليين، إذ أُجبر كثير منهم على العمل في المناجم والمزارع لتسديد الالتزامات المفروضة عليهم. وأدت الأعباء الضريبية الثقيلة إلى تفاقم الفقر، وحدوث موجات من الهجرة القسرية، فضلا عن التراجع الملحوظ في أعداد السكان، ولم يقابل ما دفعه السكان الأصليون من ضرائب أي مردود خدمي حقيقي، الأمر الذي جعل النظام الضريبي عبئا اقتصاديا واجتماعيا بالغ القسوة، كما أسهم هذا النظام في إعاقة نمو اقتصاد محلي مستقل، وتركيز الثروة في أيدي المستوطنين الإسبان، وتعزيز تبعية هندوراس الاقتصادية للمراكز الاستعمارية، ومع اشتداد القسوة الضريبية انتشرت ظاهرة التهرب من الجباية، ولا سيما في المناطق الريفية، ما أدى إلى اندلاع احتجاجات وتمردات محلية متفرقة، واجهتها السلطات الاستعمارية باستخدام القمع والقوة لضمان استمرار تحصيل الضرائب.[74]

مما تقدم يتضح إن النظام المالي والضريبي في ظل الاستعمار الإسباني في هندوراس شكّل آلية استغلال اقتصادي ممنهجة هدفت إلى تحويل موارد البلاد لخدمة مصالح التاج الإسباني، وأسهم في إفقار السكان الأصليين وإضعاف البنية الاقتصادية المحلية، مخلفا آثارا بعيدة المدى استمرت حتى ما بعد مرحلة الاستقلال.

رابعا- آثار التنظيم الإداري الاستعماري على المجتمع الهندوراسي

أسهم التنظيم الإداري الذي فرضه الاستعمار الإسباني في إعادة بناء المجتمع الهندوراسي وفق أسس جديدة اتسمت بالتمييز الطبقي الواضح، إذ جرى تقسيم المجتمع إلى فئات اجتماعية متباينة، تصدّرها الإسبان المولودون في إسبانيا، يليهم الكريول وهم أبناء الإسبان المولودون في المستعمرات، ثم المستيزو من ذوي الأصول المختلطة، في حين وُضع السكان الأصليون في أدنى السلم الاجتماعي، و ترتب على هذا التقسيم إقصاء السكان الأصليين وتهميشهم، وحرمانهم من أي مشاركة فعلية في الحياة السياسية والاجتماعية، ولم يقتصر أثر هذا البناء الطبقي على الجانب الاجتماعي فحسب، بل امتد ليشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية، إذ تركزت السلطة والثروة في أيدي المستعمرين الإسبان الذين احتكروا المناصب الإدارية العليا، وعلى رأسها منصب الحاكم، في مقابل إخضاع السكان الأصليين لسياسات الاستغلال والتهميش، كما أدى فرض النظام الإداري والضريبي الإسباني إلى تفكيك البنى السياسية التقليدية، إذ ألغت الإدارة الاستعمارية أنظمة الحكم المحلية للسكان الأصليين أو أخضعتها لسيطرتها المباشرة، مما أضعف الروابط القبلية والتقليدية وأفقد الزعامات المحلية نفوذها،[75] فضلا عن ربط المجتمع المحلي بالاقتصاد الاستعماري الأوسع في إطار أمريكا اللاتينية، كما أسهم انتشار أنظمة العمل القسري، ولا سيما نظام الإنكوميندا في تعميق معاناة السكان الأصليين، إذ أُجبروا على العمل في المناجم والمزارع في ظروف قاسية (كما اشرنا سلفا)، ما أدى إلى تدهور أوضاعهم الاجتماعية والصحية وارتفاع معدلات الوفيات بينهم.[76]

رافق التنظيم الإداري الاستعماري فرض الثقافة واللغة الإسبانية، أذ لعبت الكنيسة دورا بارزا في نشر اللغة الإسبانية والعقيدة الكاثوليكية، الأمر الذي أسهم في تراجع اللغات

والمعتقدات المحلية، كما فرضت أنماط جديدة للحياة اليومية شملت أساليب السكن والعمل والتعليم، ما أحدث تغييرات عميقة في البنية الثقافية للمجتمع الهندوراسي.[77]

من خلال ما تقدم يتضح أن التنظيم الإداري الاستعماري الإسباني في هندوراس شكل الأساس الذي استند إليه الحكم الإسباني، إذ مكنت المؤسسات الإدارية، ونظام الحكم المركزي، والسياسة الضريبية الصارمة إسبانيا من إحكام سيطرتها على البلاد لمدة طويلة، ويُظهر هذا التنظيم كيف تحول الاستعمار من مجرد احتلال عسكري إلى نظام حكم متكامل، خلف آثارا عميقة في التاريخ السياسي والإداري لهندوراس.

خامسا- مقاومة السكان الأصليين للإخضاع الإسباني

واجه الإسبان في هندوراس مقاومة قوية من الشعوب الأصلية، ولا سيما شعب اللينكا الذي عُد أكثر المجموعات تنظيما وانتشارا، ولم يتخذ السكان الأصليون موقفا سلبيا إزاء السياسات الاستعمارية الإسبانية، بل عبّروا عن رفضهم لها عبر أشكال متعددة من المقاومة، تنوعت بين العصيان، والامتناع عن اداء الالتزامات المفروضة عليهم ،الهروب من مواقع العمل القسري، وصولا إلى التمرد المسلح دفاعا عن مجتمعاتهم واراضيهم ونظمهم التقليدية،[78] بلغت هذه المقاومة ذروتها في انتفاضة واسعة اندلعت عام 1537 قادها زعيم اللينكا (ليمبيرا Lempira) الذي تمكن من الصمود أمام القوات الإسبانية مدة تقارب ستة أشهر، متحصنا في موقعه الدفاعي المعروف بصخرة سيركوين ،[79] وتعد حركة ليمبيرا من أبرز نماذج المقاومة المنظمة ضد الغزو الإسباني، إذ سعى من خلالها إلى الدفاع عن استقلال المجتمعات المحلية، وتمكن من توحيد عدد من القبائل في مواجهة القوات الغازية، ورغم القوة التي أظهرتها هذه الانتفاضة فإنها انتهت بمقتل ليمبيرا، الأمر الذي شكل ضربة قاسية للمقاومة المحلية، كما أسهم التفوق العسكري الإسباني إلى جانب انتشار الأمراض الأوروبية في إضعاف قدرة السكان الأصليين على الاستمرار في المواجهة، ونتيجة لذلك تمكن القائد الإسباني مونتيجو، بمساندة ألونسو دي كاسيريس من فرض السيطرة الإسبانية على معظم أراضي هندوراس، وبحلول عام 1539 كانت المرحلة الرئيسة من الغزو قد اكتملت، في حين خضعت غالبية المناطق الهندوراسية للنفوذ الإسباني مع منتصف القرن السادس عشر، وإلى جانب المقاومة المسلحة، برزت أنماط أخرى من المقاومة غير المباشرة

تمثلت في التمسك بالعادات والتقاليد المحلية سرا، ورفض الاندماج الكامل في البنية الاستعمارية، وهو ما يعكس عمق الرفض الشعبي للهيمنة الإسبانية حتى بعد إخضاع البلاد عسكريا. (80)

سادسا- التنظيم الديني (الكنيسة الاستعمارية)

مثلت الكنيسة الكاثوليكية إحدى الركائز الأساسية للسياسة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس، إذ ارتبط التوسع العسكري بمشروع ديني هدفه نشر المسيحية بين السكان الأصليين، وإحلال القيم الدينية الأوروبية محل المعتقدات المحلية السائدة، وأسس الإسبان الإرساليات الدينية، وأسندوا مهمة التنصير إلى الرهبان الذين اضطلعوا بدور مزدوج فمن جهة عملوا على تعليم السكان العقيدة المسيحية، ومن جهة أخرى أسهموا في ترسيخ الطاعة للنظام الاستعماري وتعزيز الخضوع لسلطته، كما ارتبطت عملية التنصير بفرض اللغة الإسبانية والعادات الأوروبية الأمر الذي ساهم في إضعاف الهوية الثقافية للسكان الأصليين على المدى البعيد.(81)

شهدت هندوراس خلال الحقبة الاستعمارية موجة واسعة من تحويل السكان إلى المسيحية، رافقها نشر مفاهيم ومؤسسات الحضارة الغربية، ومع استقرار الحكم الإسباني بدأ إنشاء مؤسسات تعليمية تعتمد المنهج الكاثوليكي، غير أن هذا التعليم ظل محدودا واقتصر في الغالب على المستعمرين الإسبان أو أبناء النخب المحلية المرتبطة بالإدارة الاستعمارية، وأدى هذا التوجه إلى تقليص فرص التعليم أمام السكان الأصليين، وبقاء شريحة واسعة من المجتمع في حالة من الأمية رغم الخطاب الرسمي الذي روج لنشر التعليم.(82)

تولت الكنيسة الإشراف المباشر على المؤسسات التعليمية والدينية طوال مدة الاستعمار، فشهدت البلاد تأسيس عدد من الكنائس والمراكز الدينية البارزة، ففي عام 1550 أُسست كنيسة لا ميرسيد في كوماياغوا، وتُعد من أقدم الكنائس الاستعمارية في هندوراس، ثم أُنشئت عام 1560 كاتدرائية سيدة الرحمة في مدينة غراسياس التي كانت مقرا لمحكمة إسبانية، وأدت هذه الكاتدرائية دورا دينيا وإداريا مهما، وفي عام 1635 تأسست كنيسة سانتا ماريا دي لوس دولوريس في إطار توسع النشاط الكنسي في المدن الاستعمارية.(83)

وعلى الصعيد التعليمي أسس المبشرون جامعة سان كارلوس عام 1676 التي شكلت المركز الجامعي الوحيد في أمريكا الوسطى آنذاك، وارتادها أبناء النخبة في هندوراس، وأسهمت في تخريج رجال دين وقضاة وإداريين خدموا الإدارة الاستعمارية، كما أُنشئت عام 1678 الكلية التريدنتينية في كومایاغوا التي تخصصت في تدريس اللاهوت والفلسفة وإعداد الكوادر الدينية، وخلال القرن الثامن عشر سعت الكنيسة الكاثوليكية إلى إحكام سيطرتها على الحياة الفكرية والثقافية في العالم الجديد، إذ وظّفت الإدارة الاستعمارية الدين بوصفه أداة داعمة للحكم،[84] وأسهمت الكنيسة في تعزيز شرعية السلطة الإسبانية من خلال نشر العقيدة المسيحية وترسيخ قيم الطاعة والاستقرار، ورغم ظهور أصوات فردية من رجال الدين انتقدت مظاهر الاستغلال والقسوة التي تعرض لها السكان الأصليون، فإن الكنيسة بوصفها مؤسسة ظلت حليفا أساسيا للإدارة الاستعمارية في تثبيت نفوذها وضمان استمرار سيطرتها.[85]

المبحث الثالث: هندوراس في ظل سيطرة آل بوربون ونهاية الحكم الإسباني

مع انتقال العرش الإسباني إلى أسرة آل بوربون عام 1700 دخلت المستعمرات الإسبانية مرحلة جديدة اتسمت بإطلاق سلسلة من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والعسكرية، عرفت باسم الإصلاحات البوربونية[86] استهدفت هذه الإصلاحات تعزيز سلطة التاج الإسباني، وإعادة تنظيم مؤسسات الدولة، وإحكام السيطرة على المستعمرات في العالم الجديد، إلى جانب زيادة الموارد المالية المتدفقة من تلك الأقاليم، ولم تكن هندوراس بمنأى عن آثار هذه التحولات إذ تأثرت بشكل واضح بالسياسات الجديدة ضمن إطار الإدارة الاستعمارية في أمريكا الوسطى.[87]

أولا: انتقال الحكم إلى آل بوربون وتأثيره في المستعمرات

انتهى حكم أسرة آل هابسبورغ في إسبانيا بوفاة الملك شارل الثاني عام 1700 دون وريث مباشر، ما أدى إلى اعتلاء الملك فيليب الخامس المنتمي إلى أسرة آل بوربون عرش إسبانيا، غير أن هذا الانتقال لم يكن بسلاسة، إذ أعلن لويس الرابع عشر استمرار مطالبته بالعرش الإسباني، الأمر الذي أدى إلى اندلاع حرب الوراثة الإسبانية، والتي استمرت حتى عام 1714، وجرى خلال هذه الحرب توقيع عدد من الاتفاقيات الدولية، أبرزها معاهدة

أوترخت عام 1713 التي اعترفت بموجبها الدول المتحاربة بفيليب الخامس ملكا على إسبانيا ومستعمراتها فيما وراء البحار مقابل تخليه عن أي حقوق في التاج الفرنسي، هدفت المعاهدة لإعادة تنظيم التوازن السياسي في أوروبا، والحد من توسع نفوذ أسرة بوربون، وضمان مصالح القوى الأوروبية الكبرى، خصوصا بريطانيا وهولندا، تضمنت المعاهدة بنودا هامة بشأن الاعتراف بشرعية حكم بوربون في إسبانيا مع اشتراط عدم اتحاد فرنسا وإسبانيا في شخص واحد، فضلا عن نقل بعض المستعمرات الأوروبية والتجارية لبريطانيا، بما في ذلك حقوقها في تجارة العبيد مع المستعمرات الإسبانية في الأمريكتين، شكلت المعاهدة منعطفا أساسيا في تاريخ السياسة الأوروبية وأثرت بعمق على النظام الاستعماري الإسباني في أمريكا، أذ ساهمت في تعزيز النفوذ البريطاني التجاري وتقليص سيطرة إسبانيا في بعض مناطق الكاريبي وأمريكا الشمالية.[88]

أثرت المعاهدة بشكل مباشر على التجارة والاستعمار، إذ فتحت المجال أمام النشاط البريطاني التجاري، وزادت ضغوط الإدارة الإسبانية على مستعمراتها لتعويض الفاقد المالي، كما ساعدت على ترسيخ سلطات فيليب الخامس في التنظيم الإداري والاستعماري، شكل هذا التحول نقطة مفصلية في السياسة الاستعمارية الإسبانية، إذ تبنّت أسرة آل بوربون نهجا مركزيا أكثر صرامة يقوم على تعزيز السلطة الملكية المباشرة في المستعمرات، وتقليص نفوذ النخب المحلية، وتشديد الرقابة على الإدارة والمالية العامة، وبما أن هندوراس كانت جزءا من الإدارة العامة لغواتيمالا، فقد تأثرت بهذه الإصلاحات في إطار التوجه العام لإعادة هيكلة الحكم الاستعماري في أمريكا الوسطى، خاصة في ظل مخاوف إسبانيا من ضعف السيطرة وتراجع الإيرادات وانتشار الفساد الإداري.[89]

ثانيا: التنظيم الإداري في هندوراس خلال العهد البوربوني

لم تكن هندوراس كيانا سياسيا مستقلا في ظل الحكم الإسباني، بل كانت إقليما تابعا للإدارة الاستعمارية المركزية، ومع تطبيق الإصلاحات البوربونية جرى تعزيز الطابع المركزي للحكم من خلال تقليص صلاحيات المجالس المحلية المعروفة بـ(الكابيلدو)، وإخضاع السلطات الإقليمية لإشراف مباشر من ممثلي التاج الإسباني، كما أُدخل نظام الانتندنسيا (Intendencias)[90] في أواخر القرن الثامن عشر وكان اول تطبيق فعلي لهذا النظام في

امريكا الوسطى لاسيما هندوراس عام 1782 ، والذي منح الموظفين الملكيين سلطات واسعة في المجالات المالية والعسكرية والقضائية، الأمر الذي أدى إلى تراجع نفوذ النخب المحلية، ولا سيما فئة الإسبان المولودين في المستعمرات (الكريول)، وهدفت هذه الإجراءات إلى ضمان ولاء الأقاليم للتاج الإسباني، غير أنها أسهمت في تصاعد التوترات السياسية والاجتماعية داخل المجتمع المحلي.[91]

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية في ظل الإصلاحات البوربونية

شكل التعدين وبخاصة استخراج الفضة الركيزة الأساسية للاقتصاد الهندوراسي خلال هذه المدة، وعملت الإدارة الإسبانية على إعادة تنشيط المناجم المهملة، وفرض ضرائب مباشرة على إنتاج المعادن، فضلا عن تشديد الرقابة على عمليات الاستخراج والتصدير، كما شجعت زراعة المحاصيل النقدية التي تخدم السوق الاستعمارية وتحقق أرباحا سريعة، وهو ما أدى إلى تهميش الأنماط الزراعية التقليدية التي اعتمد عليها السكان الأصليون، وأسهم في تدهور أوضاعهم المعيشية، [92] وفي الإطار ذاته طُبّق نظام تجاري احتكاري يخدم المصالح الإسبانية مع توسيع قاعدة الضرائب وتحسين آليات التحصيل بهدف زيادة موارد التاج، وشملت هذه السياسات مختلف فئات المجتمع، بما في ذلك السكان الأصليون والكريول، ما أدى إلى تصاعد الاستياء العام نتيجة ارتفاع الأعباء الضريبية واستحداث ضرائب جديدة، فضلا عن تشديد إجراءات الجباية للحد من التهرب وزيادة العائدات المالية.[93]

اتبعت الإدارة البوربونية سياسة مزدوجة تجاه السكان الأصليين، إذ وفرت لهم حماية قانونية شكلية من الاستعباد المباشر، في الوقت الذي استمرت فيه أشكال الاستغلال الاقتصادي، من خلال فرض العمل القسري في المناجم، وإلزامهم بأداء الضرائب المرتفعة، وتجنديهم في الأشغال العامة، أدت هذه السياسات إلى تفاقم الأوضاع الاجتماعية والمعيشية، وظهور احتجاجات ومظاهر مقاومة محلية، وإن كانت محدودة من حيث التنظيم والتأثير.[94]

أسهمت سيطرة آل بوربون في تعميق الفوارق الطبقية داخل المجتمع الهندوراسي، إذ تركزت السلطة والثروة في أيدي ممثلي التاج الإسباني، بينما تعرضت النخب المحلية للتهميش السياسي والاقتصادي، ومع مرور الوقت بدأ الكريول بتبني أفكار معارضة للحكم

الإسباني، متأثرة بمبادئ عصر التنوير الأوروبي، وانتشرت حالة من السخط الاجتماعي نتيجة الضرائب المرتفعة والعمل القسري والتمييز الطبقي، ولعب هذا التراكم من التوترات الاجتماعية والفكرية دورا مهما في تهيئة المناخ السياسي والفكري لحركات الاستقلال في مطلع القرن التاسع عشر، وأسهم في نشوء وعي قومي متزايد، شكل أحد العوامل الرئيسة التي مهدت لنهاية السيطرة الإسبانية على هندوراس.[95]

رابعا : إعلان الاستقلال ونهاية الحكم الإسباني في هندوراس

دخلت الإمبراطورية الإسبانية مع مطلع القرن التاسع عشر مرحلة من الضعف السياسي والعسكري نتيجة الأزمات الداخلية والحروب الأوروبية المتعاقبة، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على أوضاع مستعمراتها في العالم الجديد ومنها هندوراس، فقد أدت الحروب النابليونية واحتلال إسبانيا عام 1808 إلى إضعاف سلطة التاج الإسباني، وتراجع قدرته على فرض سيطرته الإدارية والعسكرية على الأقاليم التابعة له، ما أسهم في خلق حالة من الاضطراب السياسي داخل المستعمرات،[96] وفي هذا السياق شهدت هندوراس تراجعا ملحوظا في فاعلية الإدارة الاستعمارية، بالتزامن مع تصاعد الوعي السياسي بين النخب المحلية، ولا سيما فئة الكريول، كما دفعت الأزمات المالية التي عانت منها إسبانيا إلى زيادة الأعباء الضريبية المفروضة على المستعمرات، في محاولة لتعويض الخسائر الاقتصادية، الأمر الذي فاقم حالة السخط الشعبي، وأسهم في تنامي النزعات المطالِبة بالتحرر من الهيمنة الإسبانية.[97]

تأثرت هندوراس كذلك بحركات الاستقلال التي اندلعت في مناطق مختلفة من أمريكا اللاتينية، ولا سيما في المكسيك وأمريكا الجنوبية، أذ شكل نجاح تلك الحركات مصدر إلهام للنخب السياسية والفكرية في أقاليم أمريكا الوسطى، وانتقلت الأفكار الاستقلالية عبر قنوات متعددة شملت رجال الدين والتجار والطلاب، ما ساعد على ترسيخ الوعي السياسي تدريجيا، كما أسهم انتشار أفكار عصر التنوير، والثورة الفرنسية، والاستقلال الأمريكي في تعزيز مفاهيم الحرية والمساواة وحق الشعوب في تقرير مصيرها.[98]

وفي ظل هذه التحولات شهدت هندوراس خلال العقود الأخيرة من الحكم الإسباني أوضاعا اقتصادية واجتماعية متأزمة، أذ اعتمد الاقتصاد الاستعماري بدرجة كبيرة على

استغلال الموارد الطبيعية، ولا سيما التعدين والزراعة، غير أن إنتاج المناجم بدأ يتراجع منذ أواخر القرن الثامن عشر، ما أدى إلى انخفاض الإيرادات المالية للتاج الإسباني، وفي الوقت نفسه فرضت السلطات الاستعمارية ضرائب مرتفعة على الإنتاج الزراعي والتجارة المحلية الأمر الذي أثقل كاهل السكان الأصليين والفلاحين، وعمق مظاهر الفقر وعدم المساواة الاجتماعية،[99] ومع ضعف الإدارة الاستعمارية وعجزها عن معالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة تصاعدت رغبة النخب المحلية في إدارة شؤون البلاد بصورة مستقلة بعيدا عن القرارات المركزية الصادرة من إسبانيا، وفي ظل التأثير المتزايد للحركات الاستقلالية في أمريكا اللاتينية أعلنت هندوراس إلى جانب بقية أقاليم أمريكا الوسطى استقلالها عن التاج الإسباني في 15 أيلول 1821 وذلك دون اندلاع حرب واسعة النطاق داخل البلاد، إذ تم الاستقلال في إطار إعلان جماعي صدر في مدينة غواتيمالا.[100]

تميز استقلال هندوراس بطابعه السلمي نسبيا فلم تشهد البلاد مواجهات عسكرية كبرى، بل جاء نتيجة توافق سياسي بين النخب المحلية والإدارة الاستعمارية التي كانت تعاني من الضعف والتراجع. ويُعزى هذا الطابع السلمي إلى محدودية الوجود العسكري الإسباني، فضلًا عن حرص النخب المحلية على تجنب الفوضى وعدم الاستقرار.[101]

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن مدة سيطرة آل بوربون على هندوراس شكلت مرحلة حاسمة في تاريخها الاستعماري، إذ اتسمت بتشديد القبضة الإدارية، وزيادة الاستغلال الاقتصادي، ومحاولات تحديث مؤسسات الحكم الاستعماري. ورغم أن هذه الإصلاحات أسهمت مؤقتا في تعزيز موارد الدولة الإسبانية، فإنها أدت في الوقت نفسه إلى تعميق التوترات الاجتماعية والسياسية، ما عجل بانهيار السيطرة الإسبانية ومهّد الطريق لقيام حركات الاستقلال، وبالتالي إنهاء الحكم الاستعماري الإسباني في هندوراس.

الخاتمة :

يعد الاستعمار الإسباني مرحلة مفصلية في التاريخ الهندوراسي، إذ ترك آثارا عميقة في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد، فقد أسهم في إعادة تشكيل التركيبة السكانية، وتنظيم الاقتصاد بما يخدم مصالح التاج الإسباني، وربط هندوراس بالمنظومة الاستعمارية العالمية، كما أدخل أنماطًا إدارية وثقافية جديدة، وأرسى نظام حكم مركزي احتكر فيه

الإسبان السلطة، وسيطروا من خلاله على مختلف مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولم يكن إخضاع هندوراس عملية سريعة أو سهلة، بل جاء نتيجة سلسلة من الحملات العسكرية والمواجهات العنيفة مع السكان الأصليين، رافقها قمع ومقاومة متبادلة، ومهد هذا الإخضاع لقيام إدارة استعمارية إسبانية منظمة شكلت الأساس الذي استند إليه الحكم الإسباني طوال الحقبة الاستعمارية، وأسهمت في إحلال المؤسسات الاستعمارية محل النظم المحلية التقليدية.

تعرض السكان الأصليون خلال الحقبة الاستعمارية لأشكال متعددة من الاستغلال شملت العمل القسري، ونهب الموارد الطبيعية، والتهميش الاجتماعي، فضلًا عن تآكل جانب كبير من هويتهم الثقافية، كما أدّى تركّز السلطة بيد الإدارة الاستعمارية إلى إعاقة تطور اقتصاد محلي مستقل يخدم مصالح المجتمع الهندوراسي، ومع ذلك لم تخل هذه المرحلة من مظاهر المقاومة والرفض التي عبّرت عن سعي السكان للحفاظ على كرامتهم وحقوقهم، وأسهمت في بلورة الوعي الوطني وتهيئة الأرضية الفكرية لحركات الاستقلال.

ومع انتقال الحكم إلى أسرة آل بوربون لم تشهد هندوراس تراجعا في السيطرة الاستعمارية، بل دخلت مرحلة إصلاحية اتسمت بمزيد من المركزية والتشديد الإداري والاقتصادي، ورغم أن هذه السياسات أسهمت مؤقتا في تعزيز موارد الدولة الإسبانية، فإنها في المقابل أدّت إلى تعميق الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وزيادة التفاوت الطبقي، ما عجّل بانهيار النظام الاستعماري ومهّد الطريق أمام بروز المطالب الاستقلالية، وبذلك يمكن اعتبار العهد البوربوني مرحلة انتقالية حاسمة في تاريخ هندوراس الحديث.

تمثّل نهاية الحكم الاستعماري الإسباني واستقلال هندوراس عام 1821 محطة تاريخية فاصلة أنهت قرونا من الهيمنة الأجنبية، وفتحت المجال أمام مرحلة جديدة من التاريخ الوطني، غير أن هذا الاستقلال لم يكن نهاية للتحديات بل بداية لمسار معقد تمثّل في بناء الدولة الحديثة، وتحقيق الاستقرار السياسي، ومعالجة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية المتوارثة، وتظهر دراسة هذه المرحلة أن تجربة هندوراس الاستقلالية ارتبطت ارتباطا وثيقا

بالسياق الإقليمي لأمريكا الوسطى، وأن الإرث الاستعماري ظل عاملا مؤثرا في مسارها السياسي والاجتماعي لسنوات طويلة لاحقة.

الهوامش :

(1) Bruhns Karen ,Ancient South America, University press, Cambridge, 1994, p.375.
(2) Arthur helps, the Spanish Conquest in America and its relation to the history of slavery and to the government of colonies, vol. i., new york, p. 421.
(3) Kenneth Hirth And others, Ritual and Economy in a Pre-Columbian Chiefdom: The El Cajón Region of Honduras, University Press of Colorado,p29-30.
(4) James Lockhart and Stuart B. Schwartz ,Early Latin America A History of Colonial Spanish America and Brazil, Latin American Studies, Cambridge, 1984,p.60.
(5) Bruhns Karen, OP.Cit, p.378.
(6) Frederick Lange, Paths to Central American Prehistory, University Press of Colorado, 1996,p.272 ; Matthew, L. y Oudjik, M. Conquistadors Chouchiak, Forgotten allies: The origins and roles of native mesoamerican auxiliaries and indios conquistadores in the conquest of Yucatan, 1526-1550, University of Oklahoma press, Oklahoma, 2007, pp.179.
(7) Mark A. Burkholder Lyman L. Johnson, Colonial Latin America ,8th Edition, Oxford University Press, 2012,p.78-79.
(8) Kenneth Hirth And others, OP.Cit, pp.59-60.
(9) Charles C. Mann New Revelations of the Americas Before Columbus , Vintage , 2006,pp421-422.
(10) Stephan Palmié, and Francisco A. Scarano ,The Caribbean A History of the Region and Its Peoples, University of Chicago,2011,pp.91-92.
(11)Frederick Lange, OP.Cit, p.182.
(12) David Carrasco ,Religions of Mesoamerica: Cosmovision and Ceremonial Centers (Religious Traditions of the World), HarperSan Francisco, 1990,pp.67-68
(13) John Eric Sidney Thompson ,Maya History and Religion ,Volume 99,The Civilization of the American Indian Series, University of Oklahoma Press,1990,p321.
(14) Miguel Leon-Portilla , Native Meso-American Spirituality (Classics of Western Spirituality) , Paulist Press,1980,p.257.

(15) حروب الاسترداد: هي سلسلة من الصراعات العسكرية والسياسية والدينية التي دارت في شبه الجزيرة الإيبيرية بين القوى المسيحية في الشمال والكيانات الإسلامية في الأندلس، وامتدت على نحو متقطع من أوائل القرن الثامن الميلادي حتى أواخر القرن الخامس عشر، هدفت هذه الحروب إلى توسيع رقعة النفوذ المسيحي واستعادة الأراضي التي خضعت للحكم الإسلامي منذ الفتح، و ارتبطت بتكوّن الممالك المسيحية وتبلور هوياتها السياسية، إلى جانب تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والدينية للمنطقة. وانتهت هذه الحروب بسقوط مملكة غرناطة عام 1492، وهو الحدث الذي مثّل اكتمال السيطرة المسيحية على شبه الجزيرة الإيبيرية وبداية مرحلة تاريخية جديدة في إسبانيا. للمزيد من التفاصيل ينظر :

David Nicolle ,El Cid and the Reconquista 1050-1492, Osprey Publishing, Oxford ,1988.

(16) María de los Angeles Chaverri, La formación histórica de Honduras: factores que inciden en la constitución de la territorialidad de Honduras durante la época colonia, centro de Estudios Históricos y Sociales para el Desarrollo, 1992,p.21

(17) J. H. Parry,The Age of Reconnaissance: Discovery, Exploration, and Settlement, 1450-1650 First Edition, University of California Press,1982,p.49.

(18) عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000 ، ص ص 274-275.

(19) محمد خميس الزروكة، جغرافية العالم الجديد، دار المعرفة الجامعية، بيروت،2000، ص ص 36-37؛ Washington Irving, The life and voyages of Christopher Columbus, CreateSpace Independent Publishing Platform,2016,p.396.

(20) Ibid, p.398.

(21) خوان دي غريخالفا : ولد عام 1489م في كويار في قشتالة بإسبانيا، أحد المستكشفين الإسبان البارزين في بدايات القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بالمرحلة التمهيدية للتوسع الإسباني على سواحل خليج المكسيك وأمريكا ،برز بوصفه قائد بحري شارك في الرحلات الاستكشافية الأولى التي هدفت إلى التعرف على السواحل والموارد وإقامة اتصالات أولية مع المجتمعات المحلية، قاد عام 1518 حملة استكشافية مهمة انطلقت من كوبا، تمكن خلالها من استكشاف أجزاء واسعة من سواحل خليج المكسيك، بما في ذلك مناطق يوكاتان وفيراكروز، وأسهمت رحلته في تزويد

الإدارة الإسبانية بمعلومات جغرافية واقتصادية دقيقة مهدت لاحقًا لحملة هرنان كورتيس، تميّز دور خوان دي غريخالفا بطابعه الاستطلاعي أكثر من كونه احتلالي مباشر، إذ ركز على رسم السواحل، وتحديد المرافئ، وجمع المعطيات عن التنظيمات السياسية والاقتصادية للسكان الأصليين، وبذلك يعد من الشخصيات التي أسهمت في تشكيل المعرفة الإسبانية المبكرة بالعالم الجديد، ضمن سياق السياسات الاستكشافية للتاج الإسباني في مطلع العصر الحديث، توفي عام 1527 في إقليم أولانتشو في هندوراس. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Henry Raup Wagner, The discovery of New Spain in 1518 by Juan de Grijalva, Smithsonian Libraries, Mexico.

(22)ألونسو دي أفيلا: ولد عام 1486 في مدينة سيوداد ريال باسبانيا ، يعد من القادة العسكريين والمستكشفين الإسبان الذين برزوا في مطلع القرن السادس عشر، وارتبط اسمه بالمرحلة الأولى من التوسع الإسباني في أمريكا الوسطى والمكسيك، ينتمي إلى جيل الـ كونكِستادوريس الذين شاركوا في الحملات الاستكشافية والعسكرية التي مهدت لترسيخ النفوذ الإسباني في العالم الجديد، شارك ألونسو دي أفيلا في الرحلات الاستكشافية إلى سواحل خليج المكسيك، وكان من بين القادة الذين أسهموا في جمع المعلومات الجغرافية والعسكرية عن المنطقة قبل الغزو الإسباني المنظم، كما ارتبط اسمه بحملة هرنان كورتيس، إذ أُوكلت إليه مهام قيادية وعسكرية مهمة من بينها الإشراف على تحركات القوات وحماية الموارد التي استولى عليها الإسبان خلال العمليات الأولى، تميز دوره بالجمع بين الوظيفة العسكرية والإدارية، أذ عكس نموذج القائد الإسباني الذي لم يقتصر نشاطه على القتال، بل شمل أيضا إدارة الغنائم وتنظيم شؤون القوة الإسبانية الناشئة، وبذلك يمثل ألونسو دي أفيلا إحدى الشخصيات التي أسهمت بصورة مباشرة في الانتقال من مرحلة الاستكشاف إلى مرحلة السيطرة العسكرية والإدارية في تاريخ الوجود الإسباني بأمريكا الوسطى، توفي عان 1524 في نيفا غاليسيا شمال غرب المكسيك. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Bernal Díaz del Castillo ,Historia verdadera de la conquista de la Nueva España, Tomo I, Mexico.

(23) William H. Prescott, History of the Conquest of Mexico , Modern Library, 2001, pp189-190.

(24) Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, p.94.

(25) Robert Stoner Chamberlain, The conquest and colonization of Honduras 1502-1550, Octagon Books,1966,p.39.

(26) غيل غونثالث دي أفيلا : ولد عام 1470 في احدى مناطق قشتالة، هو أحد الغزاة الإسبان في مطلع القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بمرحلة التوسع الإسباني في أمريكا الوسطى، ولا سيما في أراضي نيكاراغوا وشمال غرب كوستاريكا وهندوراس، نشط خلال العقدين الثاني والثالث من القرن السادس عشر، وكان من أوائل القادة الذين أوفدتهم التاج الإسباني لاستكشاف هذه المناطق وبسط النفوذ الإسباني فيها، تميزت حملاته بطابع استكشافي وعسكري ، إذ سعى من لإخضاع السكان الأصليين وفرض السيادة الإسبانية من جهة، ومن جهة أخرى البحث عن الموارد، ولا سيما الذهب، فضلا عن نشر المسيحية وهو مظهر من مظاهر ترسيخ السيطرة الاستعمارية، أسهمت تحركاته في كشف الطبيعة الجغرافية والبشرية لأجزاء واسعة من أمريكا الوسطى، لكن رافقتها أيضاً مظاهر عنف واستغلال كان لها أثر بالغ في المجتمعات الأصلية،

وعلى الرغم من أن غيل غونثالث دي أفيلا لم ينجح في تأسيس حكم مستقر طويل الأمد، فإن نشاطه يمثل حلقة مهمة في تاريخ الغزو الإسباني، إذ مهد الطريق أمام حملات لاحقة أكثر تنظيماً، وأسهم في إدماج مناطق من أمريكا الوسطى ضمن المجال الاستعماري الإسباني خلال القرن السادس عشر . للمزيد من التفاصيل ينظر :

Ovidio García Regueiro ,Oro y descubrimiento: la expedición de Gil González Dávila, Cuadernos Hispanoamericanos, núm. 418 ,abril 1985, pp. 5-33.

(27) فرنسيسكو دي مونتيجو : ولد عام 1479 في مدينة سالامانكا بإسبانيا ، في بيئة اجتماعية أتاحت له الالتحاق المبكر بمشروعات التوسع الإسباني في العالم الجديد، هو أحد أبرز الغزاة الإسبان في النصف الأول من القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بعملية إخضاع شبه جزيرة يوكاتان ودمجها ضمن المجال الاستعماري الإسباني ، برز بوصفه قائداً عسكرياً وممثلاً للتاج الإسباني، إذ حصل على امتيازات رسمية خولته استكشاف يوكاتان وغزوها وتنظيم شؤونها الإدارية، قاد عدة حملات بين عشرينيات وأربعينيات القرن السادس عشر، واجه خلالها مقاومة شديدة من جماعات المايا، واتسمت سياسته بمزيج من القوة العسكرية ومحاولات التفاوض والتحالف مع بعض الزعامات المحلية، فضلا عن السعي إلى فرض النظام الاستعماري الإسباني من خلال إنشاء المستوطنات وتوزيع الامتيازات، وعلى الرغم من أن مونتيجو لم يحقق بنفسه السيطرة النهائية على يوكاتان، فإن جهوده مهّدت الطريق أمام استكمال الغزو على يد ابنه، المعروف بفرنسيسكو دي مونتيجو الابن ،أمّا وفاته فكانت عام 1553م في المكسيك بعد مسيرة طويلة في الإدارة الاستعمارية والعمل العسكري. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Inga Clendinnen, Ambivalent Conquests: Maya and Spaniard in Yucatan, 1517-1570 , 2nd Edition, Cambridge University Press,2003.

(28) Aram and Rafael Obando Andrade , Violencia Esclavitud y Encomienda en la conquista de América 1513-1542, Historia Social, no.87,2017, pp.129-132.

(29)هرنان كورتيس : ولد عام 1485 في بلدة ميديين دي لاس طوريس في اسبانيا ضمن اسرة تنتمي لطبقة النبلاء الصغرى ،هو أحد أبرز قادة الغزو الإسباني في مطلع القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بسقوط دولة الأزتك وضم أراضي وسط المكسيك إلى التاج الإسباني في حدث شكل نقطة تحول حاسمة في تاريخ العالم الجديد، ينتمي كورتيس إلى جيل الغزاة الذين جمعوا بين الطموح الشخصي والقدرة العسكرية والدهاء السياسي، في إطار التوسع الإمبراطوري الإسباني بعد اكتشاف القارة الأمريكية، برز كورتيس قائداً لحملة عسكرية انطلقت عام 1519 من كوبا باتجاه سواحل خليج المكسيك، وتمكن خلال مدة وجيزة من تأسيس تحالفات مع جماعات محلية معادية لحكم الأزتك، مستفيداً من التناقضات السياسية داخل المنطقة، وأسهمت هذه التحالفات إلى جانب التفوق العسكري النسبي والعوامل الوبائية في إضعاف مقاومة الأزتك، وصولاً إلى سقوط عاصمتهم تنوتشتيتلان عام 1521 وهو الحدث الذي مهد لقيام إسبانيا الجديدة، لم يقتصر دور هرنان كورتيس على الجانب العسكري فحسب، بل اضطلع أيضاً بوظائف إدارية وسياسية بوصفه ممثلاً للتاج الإسباني، إذ سعى إلى تنظيم السلطة الاستعمارية وتثبيت النفوذ الإسباني عبر إنشاء المدن وتوزيع الامتيازات وتنظيم العلاقات مع السكان الأصليين، ومع ذلك ظل مساره مثار جدل تاريخي واسع، نظراً لما ارتبط باسمه من عنف واستغلال وتدمير للبنى السياسية والاجتماعية الأصلية، مقابل دوره في إدخال المنطقة ضمن النظام العالمي الحديث، وفاته عام 1547 في قرية كاستييخا دي لا كوستا قرب مدينة اشبيلية. ينظر:

Christian Duverger ,Memorias de Hernán Cortés , Grijalbo, Spain, 2023.

(30)William H. Prescott, OP.Cit, p.196.

(31)Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, p.64.

(32) كريستوبال دي أوليد : ولد عام 1488م في إسبانيا، ونشأ في بيئة عسكرية مكنته من الالتحاق بحملات الاستكشاف والفتح في العالم الجديد، فاصبح أحد القادة العسكريين الإسبان الذين برزوا في مرحلة الغزو الإسباني لأمريكا الوسطى والمكسيك في مطلع القرن السادس عشر، انضم إلى قوات هرنان كورتيس وشارك في عدد من العمليات العسكرية المهمة خلال غزو المكسيك، وأسهم بدور مهم في إخضاع مناطق متعددة بفضل خبرته القتالية وقدرته على قيادة الجنود، وحظي في البداية بثقة هرنان كورتيس الذي أوكل إليه مهام عسكرية وإدارية من بينها قيادة حملة نحو مناطق أمريكا الوسطى ولا سيما الأراضي الهندوراسية، غير أن طموحات كريستوبال دي أوليد

السياسية وولائه لحاكم كوبا دييغو فيلاسكيز دفعته إلى التمرد على سلطة هرنان كورتيس فأدى ذلك إلى صراع داخلي بين الإسبان أنفسهم، وانتهى بإلقاء القبض عليه ومحاكمته من قبل خصومه وأُعدم عام 1524 في هندوراس. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Valle Rafael Heliodoro, Cristóbal de Olid conquistador de México y Honduras, Universidad Pedagógica Nacional Francisco Morazán, Tegucigalpa,2011.

(33)William H. Prescott, OP.Cit, p.198.

(34) Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, p.101.

(35) دييغو فيلاسكيز : ولد عام 1465 في مدينة كوييار في اسبانيا ،هو أحد أبرز القادة والإداريين الإسبان في مرحلة التوسع الاستعماري الإسباني في منطقة الكاريبي وبدايات غزو المكسيك خلال أوائل القرن السادس عشر، شارك فيلاسكيز في المراحل الأولى من الغزو الإسباني لجزر الكاريبي، ولا سيما في حملة كريستوفر كولومبوس الثانية (1493م)، ثم برز دوره لاحقا في إخضاع جزيرة كوبا وتنظيمها إداريا، وفي عام 1511م عين حاكما لكوبا، أذ أشرف على تأسيس عدد من المدن الإسبانية، ووضع أسس الإدارة الاستعمارية بما في ذلك تنظيم توزيع الأراضي ونظام العمل القسري للسكان الأصليين، ارتبط اسم دييغو فيلاسكيز ارتباطا وثيقا ببدايات غزو المكسيك، إذ كان الداعم الأول لحملة هرنان كورتيس، قبل أن تتدهور العلاقة بينهما بسبب الخلاف حول الصلاحيات والولاء للإدارة الإسبانية، أدى هذا الخلاف إلى صراع سياسي وقانوني بين الطرفين، عكس طبيعة التنافس الحاد بين قادة الغزو الإسباني في العالم الجديد، وأسهم في تشكيل مسار الأحداث التي انتهت بسقوط إمبراطورية الأزتك ، توفي في سانتياغو دي كوبا عام 1524.للمزيد ينظر:

Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, pp.121-124.

(36)William H. Prescott, OP.Cit, p.200.

(37) فرانسيسكو دي لاس كاساس: هو أحد القادة العسكريين الإسبان الذين ظهروا في مرحلة الغزو الإسباني للمكسيك وأمريكا الوسطى ، ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بهرنان كورتيس، إذ كان من الضباط الذين اعتمد عليهم في تنفيذ المهام العسكرية ذات الطابع السياسي، ولا سيما في المناطق التي شهدت اضطرابات أو تمردات داخلية بين الإسبان أنفسهم، برز دوره بشكل خاص عندما كُلّف بقيادة حملة إلى هندوراس لمواجهة تمرد كريستوبال دي أوليد، أذ أسهم في إلقاء القبض عليه وإنهاء محاولته الانفصال عن سلطة كورتيس، أدت الظروف فيما بعد إلى توتر علاقته بكورتيس نفسه، ودخوله في نزاعات قانونية وإدارية انتهت بعودته إلى إسبانيا. للمزيد ينظر:

Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, pp.147-149.

(38) Murdo J. MacLeod ,Spanish Central America: A Socioeconomic History, 1520-1720, University of texas press,2012,p.23.

(39) Ibid, p.24-25.

(40) كارلوس الأول: ولد عام 1500م في مدينة غنت في الأراضي المنخفضة (بلجيكا حاليا)، عرف أيضا باسم شارل الخامس بصفته إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة، هو أحد أبرز ملوك إسبانيا في القرن السادس عشر وأكثرهم تأثيرا في التاريخ الأوروبي والعالمي، تولى كارلوس الأول عرش إسبانيا عام 1516 بعد وفاة جده فرناندو الكاثوليكي، جامعا تحت سلطته ممالك قشتالة وأراغون وما يتبعها من ممتلكات واسعة في أوروبا والعالم الجديد، وفي عام 1519 انتخب إمبراطورا رومانيا مقدسا، وهو ما جعله يحكم رقعة جغرافية غير مسبوقة شملت إسبانيا، وأقاليم في إيطاليا، وألمانيا، والأراضي المنخفضة، إضافة إلى المستعمرات الإسبانية في القارة الأمريكية، شهد عهده توسعًا كبيرًا للنفوذ الإسباني في العالم الجديد، أذ جرت في ظله حملات الغزو والاستيطان في المكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية، وفي المقابل واجه تحديات داخلية وخارجية كبرى تمثلت في الثورات الداخلية في إسبانيا، والصراعات مع فرنسا، والمواجهة المستمرة مع الدولة العثمانية، إضافة إلى النزاعات الدينية التي رافقت الإصلاح البروتستانتي في أوروبا ، توفي في عام 1558م في دير يوستي في إسبانيا. للمزيد ينظر:

Robert Stoner Chamberlain, OP.Cit, pp.45-47.

(41) دييغو لوبيز دي سالسيدو: ولد اواخر القرن الخامس عشر في اسبانيا، هو أحد الإداريين والقادة الإسبان في مرحلة التوسع الاستعماري الإسباني في أمريكا الوسطى خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وارتبط اسمه بتاريخ هندوراس في السنوات الأولى لفرض السيطرة الإسبانية عليها، منصب الحاكم الإسباني لهندوراس في سياق إداري اتسم بالصراعات بين القادة الإسبان أنفسهم وبضعف الاستقرار السياسي والعسكري في الإقليم، واجه خلال ولايته تحديات متعددة من أبرزها النزاعات مع قادة إسبان آخرين على النفوذ والسلطة، فضلًا عن المقاومة المحلية من السكان الأصليين وصعوبة فرض النظام الاستعماري في منطقة حديثة العهد بالسيطرة الإسبانية، وتشير المصادر إلى أن حكمه اتسم بقدر من القسوة وسوء الإدارة، وهو ما أسهم في تأجيج الاضطرابات داخل الإقليم، وانتهى بعزله ومحاكمته من قبل السلطات الاستعمارية الإسبانية، توفي في عام 1530 تقريبا، ويرجح أن وفاته كانت في هندوراس أو في الأراضي التابعة للإدارة الإسبانية في المنطقة. ينظر: Murdo J. MacLeod, OP.Cit, pp.24-26.

(42) بيدرارياس دافيلا : ولد عام 1440 في مملكة قشتاله بإسبانيا عرف أيضاً باسم بيدرارياس القاسي، أحد أبرز القادة العسكريين والإداريين الإسبان خلال مرحلة التوسع الاستعماري في أمريكا الوسطى ، تولى منصب حاكم قشتالة عام 1514م، وهي المنطقة التي شملت أجزاءً واسعة من بنما وأمريكا الوسطى، أذ كلف بإحكام السيطرة الإسبانية وتنظيم الإدارة الاستعمارية، واتسمت سياسته بالحزم الشديد واستخدام العنف المفرط تجاه السكان الأصليين، ما جعله موضع انتقاد حتى من بعض معاصريه من الإسبان، كما لعب دوراً مهماً في الصراعات الداخلية بين القادة الإسبان، ولا سيما خصومته مع المستكشف فاسكو نونييث دي بالبوا، التي انتهت بإعدام الأخير عام 1519، أسهم بيدرارياس دافيلا في تأسيس عدد من المستوطنات الإسبانية وتعزيز النفوذ الملكي في أمريكا الوسطى، وكان له تأثير مباشر في مسار الغزو الإسباني في نيكاراغوا وبنما، توفي عام 1531 في مدينة ليون في نيكاراغوا. ينظر:

Marco A. Cardenal- Telleria and Luis E. Varela-Cardena , Pedrarias Davila: Biografia de un Hombre de Accion y su Tiempo, Tomo I, CreateSpace Independent Publishing Platform,2013.

(43) Murdo J. MacLeod , OP.Cit, p.26.

(44) بيدرو دي ألفارادو : ولد عام 1485م في مدينة باداخوث أو في منطقة إكستريمادورا جنوب غرب إسبانيا، أحد أبرز القادة العسكريين الإسبان خلال مرحلة الغزو والاستعمار في أمريكا الوسطى ،شارك ألفارادو في بعثات الاستكشاف الإسبانية إلى جزر الكاريبي، ثم انضم إلى حملة هيرنان كورتيس لغزو المكسيك (1519-1521)، أذ لعب دورا عسكريا بارزا في العمليات العسكرية ضد إمبراطورية الأزتيك، قاد حملات توسعية إلى مناطق غواتيمالا والسلفادور وهندوراس، وأسهم في إخضاع شعوب المايا وتأسيس الحكم الاستعماري الإسباني في تلك المناطق، كما شغل منصب حاكم غواتيمالا (غواتيمالا الجديدة) وكان أحد أهم ممثلي السلطة الملكية الإسبانية في أمريكا الوسطى ، توفي عام 1541م في مدينة غوادالاخارا في المكسيك نتيجة إصابة تعرض لها أثناء حملة عسكرية. ينظر:

Adrián Recinos, Pedro de Alvarado: conquistador de México y Guatemala, ondo de Cultura Económica, 1952.

(45) سيكومبا : ولد في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ضمن الأسرة الحاكمة للكيتشيه في مدينة قوماركاه (أوتاتلان)، عاصمة المملكة آنذاك، أحد أبرز القادة السياسيين والعسكريين لدى شعب الكيتشيه (K'iche' Maya) في مرتفعات غواتيمالا خلال مطلع القرن السادس عشر، تولّى سيكومبا قيادة الكيتشيه في المرحلة الأخيرة التي سبقت الغزو الإسباني، وقاد

المقاومة المحلية ضد الحملات العسكرية التي قادها الإسبان بزعامة بيدرو دي ألفارادو عام 1524 ، تمثل شخصية سيكومبا نموذجاً لزعماء المايا الذين حاولوا الدفاع عن الكيان السياسي والثقافي لمجتمعاتهم في مواجهة التفوق العسكري الإسباني، قتل عام 1524م أثناء المواجهات العسكرية مع القوات الإسبانية بعد مدة قصيرة من دخولها أراضي غواتيمالا. ينظر:

Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, pp.201-203.

(46) William H. Prescott, OP.Cit, p.201.

(47) Ibid, p.203.

(48) نظام الانكوميندا : أحد النظم الاقتصادية والاجتماعية التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية في مستعمراتها في العالم الجديد منذ أوائل القرن السادس عشر، قام هذا النظام على منح التاج الإسباني بعض الغزاة أو المستوطنين الإسبان، المعروفين باسم الإنكومنديروس (Encomenderos) حق الإشراف على جماعات من السكان الأصليين المقيمين في منطقة معينة مقابل التزام شكلي بحمايتهم وتعليمهم العقيدة المسيحية وضمان ولائهم للسلطة الملكية، تحول نظام الإنكوميندا إلى وسيلة لتنظيم العمل القسري واستغلال الموارد البشرية والاقتصادية للسكان الأصليين، إذ فُرض عليهم تقديم العمل أو الجزية العينية لصالح الإنكومنديروس، وعلى الرغم من أن النظام لم يمنح ملكية مباشرة للأرض أو للأشخاص، فإن تطبيقه الفعلي أدى إلى أوضاع قريبة من العبودية، وأسهم في تدهور الأوضاع الاجتماعية والديموغرافية للشعوب الأصلية نتيجة الإرهاق وسوء المعاملة وانتشار الأوبئة، ارتبط نظام الإنكوميندا ببدايات التوسع الاستعماري الإسباني، ولا سيما في مناطق الكاريبي والمكسيك وأمريكا الوسطى ، وأثار جدلاً واسعاً داخل إسبانيا نفسها، ما دفع بعض رجال الدين والمفكرين مثل بارتولومي دي لاس كاساس إلى انتقاده والمطالبة بإصلاحه، أدت هذه الانتقادات إلى صدور القوانين الجديدة لعام 1542 التي سعت إلى الحد من تجاوزات الإنكومنديروس وتقليص النظام تدريجياً، من دون القضاء عليه نهائياً في جميع المستعمرات.ينظر:

Silvio Arturo Zavala, Encomienda indiana, la,Porrua,1992.

(49)Rina Cáceres Gómez,Rutas de la esclavitud en África y América Latina, Universidad de Costa Rica,2001,p.321.

(50) Aram y Obando, OP.Cit, p.138.

(51) Ibid, p.139.

(52) William H. Prescott, OP.Cit, p.203.

.

(53) المستيزو: هم مجموعة عرقية ناتجة عن تزاوج الأوروبيين ولاسيما الأسبان بالسكان الأصليين من الهنود لقارة أمريكا الجنوبية ونتج عنهم هذا الجنس ما يسمى بالمستيزو. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Robinson H. ,Latin America, London,1965,p.17.

(54) Silvio Arturo Zavala, OP.Cit, p.11-12.

(55) Murdo J. MacLeod , OP.Cit, p.34.

(56) William H. Prescott, OP.Cit, p.203.

(57) Linda Newson ,The Cost Of ConquestIndian Decline In Honduras Under Spanish Rule, Routledge, 2022,p.74.

(58) Aram y Obando, OP.Cit,p142

(59) Linda Newson , OP.Cit, p.79.

(60) Robert Stoner Chamberlain,OP.Cit,pp.53-54.

(61) Ibid, p.57.

(62) Aram y Obando, OP.Cit, p.145.

(63)Lesley Byrd Simpson, The Encomienda in New Spain The Beginning of Spanish Mexico, University of California Press,2021,pp.171-172.

(64) Linda Newson , OP.Cit, p.87.

(65) P. J. Bakewell ,Silver Mining and Society in Colonial Mexico Zacatecas 1546-1700 , Cambridge University Press,2010,pp.81-84.

(66) Lesley Byrd Simpson, OP.Cit, p.176.

(67) Ibid, p.178.

(68) الريبارتيمينتو : نظام عملٍ إلزامي اعتمدته الإدارة الاستعمارية الإسبانية في أمريكا الوسطى بوصفه آلية لتنظيم وتسخير القوى العاملة من السكان الأصليين لخدمة المصالح الاقتصادية للتاج الإسباني، نشأ هذا النظام في سياق التحولات التي أعقبت تراجع نظام الإنكوميندا، إذ سعت السلطة الاستعمارية إلى إعادة ضبط علاقة المستوطنين الإسبان بالمجتمعات الأصلية ضمن إطارٍ أكثر خضوعاً للإشراف المباشر من قبل ممثلي التاج،

يقوم الريبارتيمينتو على إلزام القرى أو الوحدات المجتمعية الأصلية بتقديم عددٍ محدد من الرجال للعمل لمدة زمنية مؤقتة في المناجم أو المزارع أو مشروعات البنية التحتية، وكان توزيع العمال يتم وفق حصص تحددها السلطة الإدارية المحلية، كالحاكم أو القاضي الملكي، مع النصّ نظرياً على دفع

أجرٍ مقابل العمل، غير أن الطابع الإلزامي للنظام، فضلا عن ظروف العمل القاسية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

William L. Sherman, Forced Native Labor in Sixteenth-Century Central America , 2009, University of Nebraska Press,2009.

(69) محكمة الأودينثيا الملكية: هي أعلى هيئة قضائية أنشأها التاج الإسباني في أقاليمه داخل شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم نقلها إلى مستعمراته في العالم الجديد بوصفها ممثلا مباشرا للسلطة الملكية، اضطلعت هذه المحكمة بوظائف قضائية وإدارية معا، مما جعلها ركنا أساسيا في البناء المؤسسي للدولة الاستعمارية، أُنشئت الأودينثيا الملكية في غواتيمالا في القرن السادس عشر، وكانت ذات اختصاص يشمل أقاليم المنطقة ومنها هندوراس، مما جعلها المرجع القضائي الأعلى للمدن والمقاطعات الهندوراسية خلال الحقبة الاستعمارية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Mark A. Burkholder and D. S. Chandler , From Impotence to Authority: The Spanish Crown and the American Audiencias 1687-1808, University of Missouri Press, Columbia ,1977.

(70)Murdo J. MacLeod, OP.Cit, p.39.

(71)Aram y Obando, OP.Cit, p.149.

(72) Murdo J. MacLeod, OP.Cit, pp.46-47.

(73) P. J. Bakewell , OP.Cit, p.89.

(74) Linda Newson , OP.Cit, p.92.

(75)Jay Kinsbrunerthe, Colonial Spanish-American City: Urban Life in the Age of Atlantic Capitalism , University of Texas Press, Austin,2005,p65.

(76)Murdo J. MacLeod, OP.Cit, pp.53.

(77) Ibid, p.59.

(78) Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, Overlooked Places and Peoples Indigenous and African Resistance in Colonial Spanish America 1500-1800, Routledge, New York, 2024,pp.106-107.

(79) صخرة سيركوين: هي موقع جبلي حصين يقع غرب هندوراس ويعد من ابرز المواقع المرتبطة بمقاومة شعب اللينكا ضد التوسع الاسباني ، اكتسبت هذه الصخرة اهميتها التاريخية من كونها احد المعاقل التي تحصن بها الزعيم لمبيرا واتاحت الطبيعة الجبلية الوعرة امكانية تنظيم الدفاع والمواجهة، أذ شكلت تضاريسه عاملا استراتيجيا في مواجهة التفوق العسكري الاسباني، لكن هذه

المقاومة انتهت بمقتل لمبيرا وهو الحدث الذي مثل نقطة تحول في اخضاع المنطقة الغربية من هندوراس للسيطرة الاسبانية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Matthew Restall ,Seven Myths of the Spanish Conquest 1st Edition, Oxford University Press,2004,pp.189-192.

(80) Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, OP.Cit, pp.109-110.

(81) John Lynch ,New Worlds: A Religious History of Latin America , Yale University Press, New Haven, 2012,pp.228-230.

(82)Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, OP.Cit, p.118.

(83)Joel M. Cruz ,The Histories of the Latin American Church: A Handbook , Fortress Press, 2014,pp.335-336.

(84) Ibid, p.337.

(85)John Lynch , OP.Cit, p.237

(86) تطلق تسمية الاصلاحات البوربونية على مجموعة الاجراءات الادارية والاقتصادية والعسكرية والكنسية التي طبقتها اسرة ال بوربون الحاكمة في اسبانيا خلال القرن الثامن عشر لمعرفة تفاصيل الاصلاحات البوربونية ينظر :

John Lynch, Bourbon Spain 1700–1808, Blackwell, Oxford,1989.

(87) Adrian J. Pearce , The Origins of Bourbon Reform in Spanish South America, 1700–1763, Palgrave Macmillan, U.S.A, 2014,pp.17-18.

(88) Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, The Spanish Atlantic World in the Eighteenth Century: War and the Bourbon Reforms, 1713–1796 , Cambridge University Press, Cambridge, 2014.

(89) Adrian J. Pearce , OP.Cit, p.20.

(90) نظام الانتندنسيا :هو جزء من الإصلاحات البوربونية التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية في امريكا الوسطى بضمنها هندوراس لتقوية سلطة الملك وتحسين كفاءة الإدارة والضرائب في المستعمرات، شكّل الانتنديت الذي يعين مباشرة من الملك السلطة المركزية في المقاطعة وكان مسؤولا عن تطبيق القوانين الملكية، تنظيم الموارد الاقتصادية، مراقبة المحاكم، وجباية الضرائب، سعى النظام إلى الحد من نفوذ النخب المحلية وتعزيز الرقابة المباشرة على شؤون الحكم، لكنه واجه تحديات تتعلق بالمقاومة المحلية، يعكس نظام الانتندنسيا في هندوراس جهود الإدارة الإسبانية لتحقيق مركزية الحكم والكفاءة المالية في المستعمرات. ينظر:

John Lynch, Spanish Colonial Administration 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , Praeger Publishers Inc, 1969.

(91) Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, OP.Cit, p.96.

(92)Adrian J. Pearce , OP.Cit, pp.33-34.

(93)Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, OP.Cit, p.101.

(94) Ibid, p.103.

(95) John Lynch, Spanish Colonial Administration, 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , OP.Cit, pp.112-113.

(96)John Chasteen, Americanos: Latin America's Struggle for Independence (Pivotal Moments in World History), Oxford University Press,2008, p.67.

(97) John Lynch, Spanish Colonial Administration, 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , OP.Cit, p.117.

(98) Ibid, p.119.

(99)Rina Cáceres Gómez, OP.Cit,,p.334

(100) Ibid,p.337.

(101)Jaime E. Rodríguez O, The Hispanic Revolution: Spain and America, 1808-1826 , Read History ، 2009, p.15.

المصادر:

1) الكتب العربية

- عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000.

- محمد خميس الزروكة، جغرافية العالم الجديد، دار المعرفة الجامعية، بيروت،2000.

2) الكتب الاجنبية

- Adrian J. Pearce , The Origins of Bourbon Reform in Spanish South America, 1700–1763, Palgrave Macmillan, U.S.A, 2014.

- Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, The Spanish Atlantic World in the Eighteenth Century: War and the Bourbon Reforms 1713–1796, Cambridge University Press, Cambridge, 2014.
- Arthur helps, the Spanish Conquest in America, and its relation to the history of slavery and to the government of colonies, vol. i., new york.
- Bruhns Karen ,Ancient South America, University press, Cambridge,1994.
- Charles C. Mann New Revelations of the Americas Before Columbus , Vintage , 2006.
- Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, Overlooked Places and Peoples Indigenous and African Resistance in Colonial Spanish America 1500-1800, Routledge, New York, 2024.
- David Carrasco ,Religions of Mesoamerica: Cosmovision and Ceremonial Centers (Religious Traditions of the World), HarperSan Francisco, 1990.
- David Nicolle ,El Cid and the Reconquista 1050-1492, Osprey Publishing, Oxford ,1988.
- Frederick Lange, Paths to Central American Prehistory, University Press of Colorado, 1996.
- Henry Raup Wagner, The discovery of New Spain in 1518 by Juan de Grijalva, Smithsonian Libraries, Mexico.
- Inga Clendinnen, Ambivalent Conquests: Maya and Spaniard in Yucatan, 1517–1570 , 2nd Edition, Cambridge University Press,2003.

- J. H. Parry, The Age of Reconnaissance: Discovery, Exploration, and Settlement, 1450-1650 First Edition, University of California Press,1982.
- James Lockhart and Stuart B. Schwartz ,Early Latin America A History of Colonial Spanish America and Brazil, Latin American Studies, Cambridge, 1984.
- Jay Kinsbr unerthe, Colonial Spanish-American City: Urban Life in the Age of Atlantic Capitalism , University of Texas Press, Austin,2005.
- Joel M. Cruz ,The Histories of the Latin American Church: A Handbook , Fortress Press, 2014.
- John Chasteen, Americanos: Latin America's Struggle for Independence (Pivotal Moments in World History), Oxford University Press,2008..
- John Eric Sidney Thompson ,Maya History and Religion ,Volume 99,The Civilization of the American Indian Series, University of Oklahoma Press,1990.
- John Lynch ,New Worlds: A Religious History of Latin America , Yale University Press, New Haven, 2012.
- John Lynch, Bourbon Spain 1700-1808, Blackwell, Oxford,1989.
- John Lynch, Spanish Colonial Administration 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , Praeger Publishers Inc, 1969.
- Lesley Byrd Simpson, The Encomienda in New Spain The Beginning of Spanish Mexico, University of California Press,2021.

- Linda Newson ,The Cost Of ConquestIndian Decline In Honduras Under Spanish Rule, Routledge, 2022.
- Mark A. Burkholder and D. S. Chandler , From Impotence to Authority: The Spanish Crown and the American Audiencias 1687-1808, University of Missouri Press, Columbia ,1977.
- Mark A. Burkholder Lyman L. Johnson, Colonial Latin America ,8th Edition, Oxford University Press, 2012.
- Matthew Restall ,Seven Myths of the Spanish Conquest 1st Edition, Oxford University Press,2004.
- Matthew, L. y Oudjik, M. Conquistadors Chouchiak, Forgotten allies: The origins and roles of native mesoamerican auxiliaries and indios conquistadores in the conquest of Yucatan, 1526-1550, University of Oklahoma press, Oklahoma, 2007.
- Miguel Leon-Portilla , Native Meso-American Spirituality Classics of Western Spirituality , Paulist Press,1980.
- Murdo J. MacLeod ,Spanish Central America: A Socioeconomic History, 1520-1720, University of texas press.
- P. J. Bakewell ,Silver Mining and Society in Colonial Mexico Zacatecas 1546-1700 , Cambridge University Press,2010.
- Robert Stoner Chamberlain, The conquest and colonization of Honduras 1502-1550, Octagon Books,1966.
- Silvio Arturo Zavala, Encomienda indiana, la,Porrua,1992.
- Stephan Palmié, and Francisco A. Scarano ,The Caribbean A History of the Region and Its Peoples, University of Chicago,2011.

- Washington Irving, The life and voyages of Christopher Columbus, CreateSpace Independent Publishing Platform,2016.
- William H. Prescott, History of the Conquest of Mexico, Modern Library,2001.
- William L. Sherman, Forced Native Labor in Sixteenth-Century Central America , 2009, University of Nebraska Press,2009.

3) الكتب باللغة الاسبانية

- Adrián Recinos, Pedro de Alvarado: conquistador de México y Guatemala, ondo de Cultura Económica, 1952.
- - Bernal Díaz del Castillo ,Historia verdadera de la conquista de la Nueva España, Tomo I, Mexico.
- Christian Duverger ,Memorias de Hernán Cortés , Grijalbo, Spain, 2023.
- Jaime E. Rodríguez O, The Hispanic Revolution: Spain and America, 1808-1826 , Read History ، 2009.
- Kenneth Hirth And others, Ritual and Economy in a Pre-Columbian Chiefdom: The El Cajón Region of Honduras, University Press of Colorado.
- Marco A. Cardenal- Telleria and Luis E. Varela-Cardena , Pedrarias Davila: Biografia de un Hombre de Accion y su Tiempo, Tomo I, CreateSpace Independent Publishing Platform,2013.
- María de los Angeles Chaverri, La formación histórica de Honduras: factores que inciden en la constitución de la

territorialidad de Honduras durante la época colonia, centro de Estudios Históricos y Sociales para el Desarrollo, 1992.

- Rina Cáceres Gómez,Rutas de la esclavitud en África y América Latina, Universidad de Costa Rica,2001.
- Valle Rafael Heliodoro, Cristóbal de Olid conquistador de México y Honduras, Universidad Pedagógica Nacional Francisco Morazán, Tegucigalpa,2011.

4) البحوث المنشورة باللغة الاسبانية

- Aram and Rafael Obando Andrade , Violencia Esclavitud y Encomienda en la conquista de América 1513-1542, Historia Social, no.87,2017
- Ovidio García Regueiro ,Oro y descubrimiento: la expedición de Gil González Dávila, Cuadernos Hispanoamericanos, núm. 418 ,abril 1985.